

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
-قسم التاريخ-

فتح الأندلس - أسبابه ومراحله - (91-95هـ / 710-714)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

أ.د/ عبد الجليل ملاخ

إعداد الطالبة:

مريم قسمية

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/ نور الدين بن عبد الله	غرداية	رئيسا
أ.د/ عبد الجليل ملاخ	غرداية	مشرفا ومقررا
أ.د/ بكير بوعروة	غرداية	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1444-1445هـ / 2023-2024

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
-قسم التاريخ-

فتح الأندلس - أسبابه ومراحله - (91-95هـ / 710-714)

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إشراف الأستاذ:

أ.د/ عبد الجليل ملاخ

إعداد الطالبة:

مریم قسمية

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الجامعة	الصفة
أ.د/ نور الدين بن عبد الله	غرداية	رئيسا
أ.د/ عبد الجليل ملاخ	غرداية	مشرفا ومقررا
أ.د/ بكير بوعروة	غرداية	ممتحنا

الموسم الجامعي: 1444-1445هـ / 2023-2024

الله أكبر
الحمد لله
والصلاة والسلام
على سيدنا محمد
وآله الطيبين الطاهرين
الطاهرين

شكر وعرفان

جاء في الحديث: " لا يشكر الله من لا يشكر الناس " رواه الإمام أحمد والشيخ البخاري

الحمد والشكر لله على توفيقه وتيسيره

أتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذ "عبد الجليل ملاخ" الذي تكرم

بقبول الإشراف على هذه المذكرة وعلى جميع التوجيهات والملاحظات والنصائح

التي قدمها. كما أتقدم بوافر التقدير والاحترام لأعضاء لجنة المناقشة المحترمين على

عناء قراءة المذكرة وقبولها وتصويبها لتكون في أحسن عمل.

وكذلك أتقدم بخالص الشكر إلى كل من درّسنا من أساتذة قسم التاريخ عموماً وتخصص

ماستر تاريخ الغرب الإسلامي على الخصوص بجامعة غرداية

وفي الأخير نشكر كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب أو من بعيد ونسأل الله

عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم إنّه قريب مجيب

مريم قسمية

الإهداء

الحمد لله الذي وفقني لإنهاء هذا العمل المتواضع الذي أهديه مع أسمى عبارات الحب والامتنان: إلى من تجرع الكأس فارغا ليهديني قطر
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
إلى أبي نور دربي الذي ساندني وتعب من أجل إتمام مسيرتي الدراسية.
إلى أمي التي طالما رافقتني بدعائها وحرصه
إلى الأساتذة المحترمين وزملاء الدراسة.
إلى كل من قدم لي يد المساعدة

قسمية مريم

قائمة المختصرات

الرمز	الكلمة
ج	جزء
ط	طبعة
ب.ط	بدون طبعة
د.س.ن	بدون سنة النشر
ت	تحقيق
ص	صفحة
تر	ترجمة
د.م.ن	دون مؤسسة النشر
إش	إشراف
مج	مجلد

المقدمة

المقدمة:

يعتبر فتح الأندلس نهاية القرن الأول الهجري، السابع ميلادي، نقطة تحول هامة شهدها الغرب الإسلامي، حيث وصل الفتح للقارة الأوربية، وتوسع شمالا حتى وصل ما خلف جبال الألب (البرتات)، كما شكل قصر مدّة الفتح وسرعته من جهة، وللظروف التي أحاطت بالفتح ومراحل من جهة أخرى، محل اهتمام الدراسين والباحثين، فوثقت المصادر خبر الفتح، ولكنها في نفس الوقت ضمت صفحاتها بعض الروايات والأساطير والمبالغات التي تحتاج للنقد والتقصي.

في ظل ما نقلته المصادر وجادت به أقلام الدراسين والباحثين جاء عنوان مذكرتي موسوما بـ:

فتح الأندلس: أسبابه ومراحل.

أولا- حدود الدراسة:

ويمكن توضيحها في التالي:

- 1- **حدود الموضوع:** تتناول مذكرتي موضوع أسباب ومراحل فتح شبه جزيرة الأندلس، ومن خلال الأسباب والمراحل ستكون هنا تفاصيل تتبعتها من خلال المصادر والمراجع المختلفة.
- 2- **الحدود الزمانية:** ستركز دراستي على الفترة الزمنية التي شهدت مقدمات فتح الأندلس، أي من الحملة الاستطلاعية مع طريف بن مالك 91هـ/710م إلى إتمام الفتح ودعوة خليفة المسلمين الوليد بن عبد الملك للقائدين والي إفريقية موسى بن نصير، والفتح طارق بن زياد 95هـ/714م
- 3- **الحدود المكانية:** ستركز مذكرتي على شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) في الحدود التي وصل إليها الفاتحين طارق بن زياد وموسى بن نصير، مع ذكر للمناطق التي تحتاج إليها الدراسة بين الفينة والأخرى، خاصة بلاد المغرب.

ثانيا- أسباب اختيار الموضوع:

- تظافرت عدّة أسباب ذاتية وموضوعية وراء اختياري لهذا الموضوع، منها:
- الجدل التاريخي حول الأسباب الدقيقة وراء فتح الأندلس.
 - رغبتني في مواصلة التعرّف على تاريخ الأندلس بعد دراستي العامة له أثناء مرحلة الماجستير.
 - التعرّف على الأسباب التي يسرت لقادة فتح الأندلس الانتصار السريع على القوط.

ثالثا- الإشكالية

مذكرتي ستجيب على الإشكالية الرئيسية المتمثلة في:

كيف استطاع قادة الفتح الإسلامي الدخول لإسبانيا وما هي أهم المراحل الهامة التي مرّ بها الفتح واستكمالها في فترة وجيزة؟

وهناك بعض التساؤلات الفرعية والتي منها:

- ما هي الأسباب الرئيسية التي دفعت المسلمين إلى فتح الأندلس؟ هل كانت هناك دوافع سياسية أو اقتصادية أو دينية محددة؟
- كيف تمت عملية فتح الأندلس من الناحية العسكرية؟
- من هم القادة والشخصيات البارزة التي قادت جيوش الفتح؟ وما هي أبرز إنجازاتهم وتضحياتهم؟
- ما هي التحديات والصعوبات التي واجهها المسلمون أثناء عملية الفتح، سواء على المستوى العسكري أو السياسي أو الاجتماعي؟ وكيف تمكنوا من التغلب عليها؟
- ما هي الآثار والنتائج المترتبة على فتح الأندلس على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية، والحضارية؟

رابعا- شرح خطة البحث:

بناءً على طبيعة الموضوع "فتح الأندلس: الأسباب والمراحل"، جاء تقسيم مذكرتي إلى الأقسام الرئيسية التالية:

المقدمة: وقد تضمنت عناصرها الأساسية من حدود الدراسة، وأسباب اختيار الموضوع، والإشكالية التي يدور عليها موضوع المذكرة، كما عرجت للدراسات السابقة وباقي العناصر

الفصل الأول: وقد جاء بعنوان **لمحة جغرافية وسياسية عن إسبانيا قبيل الفتح الإسلامي**، وقد قسمته إلى مبحثين، جاء عنوان المبحث الأول بتقديم لمحة عن جغرافية الأندلس ومصطلح تسميتها؛ والمبحث الثاني قدمت فيه لمحة سياسية عن نظام الحكم في إسبانيا قبل الفتح.

الفصل الثاني: وقد جاء بعنوان **أسباب ودوافع فتح الأندلس**، وقد قسمته إلى مبحثين، جاء عنوان المبحث الأول بـ: روايات حول أسباب فتح الأندلس؛ أما المبحث الثاني فهو قراءة حول روايات فتح الأندلس.

الفصل الثالث: تحت عنوان **مراحل فتح الأندلس** وقد اشتمل على مبحثين هما: المبحث الأول حول الاتصال الذي وقع قادة الفتح بحاكم سبتة يوليان، والمبحث الثاني حول الحملات الاستطلاعية

الفصل الرابع: المراحل الرسمية للفتح الإسلامي للأندلس احتوى على مبحثين هما: المبحث الأول: حملة طارق بن زياد، والمبحث الثاني: حملة موسى بن نصير.

الخاتمة: تضمنت ملخصاً للنتائج الرئيسية للدراسة، والعبر المستفادة، وآفاق البحث المستقبلية في هذا المجال.

خامساً- أهمية وأهداف الدراسة:

دراسة موضوع توسع المسلمين في الأندلس وقصر مدّة الفتح، والتعرف عن الأسباب والمراحل التي مرّ بها أهمية كبيرة، والتي تجل بعضها في الآتي:

- هناك أهمية دينية، وهي دخول الإسلام لشبه الجزيرة الإيبيرية ووصول نوره للقارة الأوروبية، حيث عبر المسلمون في الفترة التي تلت الفتح لما وراء جبال البرتات، والدخول لبلاد الفرنجة.

- هناك أهمية تاريخية إذ يُعتبر فتح الأندلس من قبل الفاتحين المسلمين في نهاية القرن الأول الهجري، بداية الثامن الميلادي حدثاً تاريخياً بارزاً وفاصلاً في تاريخ الحضارة الإسلامية عموماً، والغرب الإسلامي على الخصوص، حيث امتد نفوذ الدولة الإسلامية إلى شبه الجزيرة الإيبيرية، مما أدى إلى تغييرات دينية، وسياسية، وحضارية.

- هناك الأهمية الحضارية وهي التي برزت في انصهار المجتمع الجديد من عرب وبربر مع المجتمع في المناطق المفتوحة، وأنتج ذلك أسس بداية النهضة العربية الإسلامية، والتي خلّدت الحضارة الإسلامية في الأندلس بعد ذلك لمدة ثمانية قرون.

- التعرّف على قادة حملات فتح الأندلس، وأهم إنجازاتهم، وسر نجاح حركة الفتح.

- استخلاص العديد من الدروس والعبر، سواء فيما يتعلق بالجوانب العسكرية والقيادية، أو الجوانب السياسية والإدارية، أو حتى الجوانب الثقافية والحضارية. وهذه الدروس قد تكون مفيدة في فهم التحديات المعاصرة.

- مساهمة دراسة فتح الأندلس في إثراء المعرفة التاريخية والحضارية، وتفتح آفاقاً جديدة للبحث العلمي خاصة علاقة المسلمين مع الغرب الحضارية وإبراز الوجه الحسن في العلاقات خارج مجال السياسة بدلا من التركيز على الحروب والصراعات وإن كانت فعلا موجودة وتدخل ضمن الحروب الصليبية.

سادسا- الدراسات السابقة:

اعتمدت في مذكرتي على مجموعة من الدراسات السابقة، شملت رسائل ومذكرات أكاديمية، وبعض المقالات، إلا أنّ أغلبها لم يكن عنوانه يخدم مباشرة المذكرة، وإتّما فصل من الفصول مثلاً، منها:

1- دراسة "الفتوحات الإسلامية فيما وراء جبال البرنيه في الأندلس في عصر الولاة (95هـ - 138هـ / 714م-757م)" للطالبتين ولد علي حنان وشتوان تركية:

تناول دراسة "الفتوحات الإسلامية فيما وراء جبال البرنيه في الأندلس في عصر الولاة (95هـ - 138هـ / 714م-757م)"، ولكنها تطرقت لفتح الأندلس وهنا قد استفدت منها. بالمقابل، تتناول دراستنا موضوع "فتح الأندلس: أسبابه ومراحل" الفتح الإسلامي للأندلس بشكل شامل منذ بدايته في عام 711م وحتى استقرار الحكم الإسلامي، متضمناً الأسباب السياسية والاقتصادية والدينية، ومراحل الفتح المختلفة، وتأثيرها العام على الأندلس. بذلك، تركز الأولى على منطقة وفترة محددين بتفاصيل دقيقة، بينما يغطي الثاني العملية الكاملة للفتح عبر نطاق جغرافي وزمني أوسع.

والمتابع للدراسات السابقة في مذكرتي أو قائمة البيليوغرافية المعتمدة سيجدها أفادتني في:

- الاعتماد على الدراسات السابقة كمراجع رئيسية وإطار مرجعي للدراسة الحالية.
- فتحت لي آفاق فهم الدراسة بعمق مقارنة مع صعوبة القراءة والفهم في المصادر الأولى للفتح لابن القوطية مثلاً.
- الاستناد إلى النتائج والآراء التي طرحتها الدراسات السابقة، سواء للتأكيد عليها أو مناقشتها أو تطويرها في الدراسة الحالية.
- الاستفادة من المنهجيات البحثية والأساليب التحليلية التي اتبعتها الدراسات السابقة، واعتمادها أو تطويرها في الدراسة الحالية.

سابعا- المناهج المتبعة:

يمكن اتباع بعض المناهج البحثية لضمان شمولية الدراسة وعمقها، ومن أبرز هذه المناهج: المنهج التاريخي التحليلي: يعتبر المنهج التاريخي من أهم المناهج التي يجب اتباعها في هذه الدراسة، حيث يتم من خلاله جمع وتحليل المصادر التاريخية المتعلقة بفتح الأندلس، سواء كانت مصادر

إسلامية أو أوروبية معاصرة لتلك الفترة. كما يساعد هذا المنهج في تتبع الأحداث التاريخية وفهم سياقها الزمني والمكاني. **والمنهج الوصفي:** يساعد المنهج الوصفي في تحليل الأسباب والدوافع المختلفة التي أدت إلى فتح الأندلس، بالإضافة إلى تفاصيل مراحل عملية الفتح وإنجازاتها. كما يمكن من خلاله تحليل دور الشخصيات البارزة والتحديات التي واجهتها في تلك الفترة. **والمنهج المقارن:** قد يكون من المفيد استخدام المنهج المقارن للمقارنة بين دور كل قائد في الفتح، وكذلك المقارنة بين المصادر الإسلامية والأوروبية في تناولها لهذا الحدث التاريخي. وذلك بهدف الوصول إلى فهم أعمق وأكثر شمولية.

ثامنا- أهم المصادر والمراجع المعتمدة:

- اعتمدنا في دراستنا للمذكرة على مجموعة من المصادر والمراجع المتنوعة ونذكر منها:
- ابن قوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس** استفدنا منه في بدايات الفتح، والمراحل التي مرّ بها.
 - أبو عبيد الله بن عبد العزيز البكري: **كتاب المسالك والممالك** جزء المعنون ب: جغرافية الأندلس وأوروبا عرفنا على تنوع تضاريس وجغرافية الأندلس.
 - أحمد بن محمد المقرئ: **كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب** يقدم لنا هذا المصدر معلومات حول مناخ أندلس وأيضاً حول فتوحات مسلمين بأندلس
 - أبو القاسم عبد الرحمان ابن عبد الحكم: **كتاب فتوح إفريقية ومصر** يقدم لنا توضيح لعلاقة يوليان مع مسلمين.
 - أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي: **معجم البلدان** يمدنا هذا المصدر بمعلومات مهمة حول المدن أندلسية.

أمّا المراجع:

- إبراهيم علي طرخان: **كتاب دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى** أفادني هذا المرجع في تقديم معلومات حول نظام الحكم في أندلس قبيل الفتح الإسلامي.
- حسين مؤنس: **كتابه فجر الأندلس** يمدنا هذا المرجع بتفاصيل مهمة حول الفتح الإسلامي للأندلس.
- محمد عبد الله عنان صاحب **كتاب دولة الإسلام في الأندلس** واعتمدنا منه على القسم الأول الذي أفدني في توضيح مراحل الفتح.

ثامنا-صعوبات البحث:

- البحث عموما لا يخلو من وجود صعوبات ذاتية وموضوعية تواجه الطالب، منها:
- ✓ الانقطاع عن الدراسة مدّة، مع تغيير الموضوع، وهذا أثر على البحث من جهة، وفي نفس الوقت موضوع فتح الأندلس المقترح من اللجنة العلمية شجعتني على الرجوع للدراسة والانطلاقة ببحث آخر.
 - ✓ انقطاع زميلتي عن الدراسة جعلني أتحمّل جهد مضاعف لإتمام العمل في الوقت المحدد له.
 - ✓ عدم تمكّني من اللغات خاصة الإسبانية حرمني من الاطلاع على الكتب الإسبانية إلاّ ما كان معرب أو مترجم منها.
- ختاماً للمقدمة أرجو الله أن أكون قد وفقت ولو بالقليل في تقديم تفاصيل الفتح وأسبابه وأهم المراحل التي مرّ بها.

الفصل الأول:

لمحة جغرافية وسياسية عن إسبانيا قبل الفتح الإسلامي

المبحث الأول: لمحة عن جغرافية الأندلس ومصطلح تسميتها.

المبحث الثاني: نظام الحكم في إسبانيا قبل الفتح الإسلامي.

الفصل الأول: لمحة جغرافية وسياسية عن إسبانيا قبل الفتح الإسلامي

المبحث الأول: لمحة جغرافية عن الأندلس ومصطلح تسميتها

أولاً: أصل التسمية:

الأندلس كلمة معربة لم تستخدمها العرب قديماً، ولم تُستخدم إلا في نهاية القرن الأول للهجري، حيث يرى العرب قديماً أنها جزيرة تقابل الساحل الممتد من تونس إلى المغرب الأقصى من الضفة الأخرى، وهي الآن ما يسمى بشبه الجزيرة البيرية أو الإقليم الذي ضم قديماً إسبانيا والبرتغال وأجزاء قليلة من الجنوب الفرنسي وبعض الجزر المترامية على أطرافها، وقد اختلف المؤرخون واللغويون القدامى منهم والمحدثون، في أصل مصطلح الأندلس، وفي مدلوله.¹

وظهر على إثر ذلك الكثير من المعاني حيث ورد أن كلمة "أندلس" و"الأندلس" أصلها بربري، وقد اقتبسها العرب من البربر بفعل العشرة والاختلاط والتزاوج بين الطرفين في بلاد المغرب وقيل "أندلس" بلاد جنوب إسبانيا، وهو الاسم الذي أطلقه العرب عليها حين فتحوها سنة 92هـ / 711م واستقروا فيها إلى غاية سنة 897هـ / 1492م، أهم مدنها غرناطة واشبيلية وقرطبة عرفت الحضارة العربية أوجها في بلاد الأندلس²

عرّف ياقوت الحموي الأندلس بذكره: أن أصل كلمة الأندلس أعجمية، لذا فقد ضبطها بالشكل التالي "بضم الدال وفتح اللام، وهي كلمة أعجمية لم تستعملها العرب في القديم، وإنما عرفت في العرب في الإسلام، وقد جرى على الألسن أن تلزم الألف واللام".³

أما العمري من القرن (8هـ/14م)، فهو الآخر وجه عنايته إلى لفظ الأندلس قائلاً: إن نسبتها إلى "أندلس بن يافث بن نوح عليه السلام، وهو أول من عمر هذه الأرض فسميت باسمه"، في موضع

1 ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، 1977، مج : 1 ص262.

2 محمد عبد المنعم الحميري: صفة الجزيرة، تص: ليفي برونسسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، دط، ص1.

³ ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص 209.

آخر ذكر " أن النصارى تسميها إشبانية باسم رجل صلب فيها ويقال له أشبانس"، وهذا ما أكدته العمري قبله قائلا "لقد كانت الأندلس تسمى إشبانية".¹

وفي تعريف آخر حول أصل مصطلح الأندلس، أنه مأخوذ من قبائل الوندال Vadals التي تعود إلى أصل جرمانى، واحتلت شبه الجزيرة الإيبيرية حوالي ق 3م، وسميت باسمها فاندليسيا (Vandalusia)، أي بلاد الوندال، ثم نطقت بالعربية الأندلس، أما مدلول هذا المصطلح فقد أطلقه المؤرخون والجغرافيون الأندلسيون أحيانا على شبه الجزيرة الإيبيرية، والتي يسمونها أيضا الجزيرة الأندلسية، ثم أستعمل للدلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الإيبيرية.²

وفي معنى آخر قيل أن العرب أخذت اسم الأندلس من سكانها الأصليين الفانداليس (Vandales) فقالوا فاندليسيا أو فاندلوزيا (Vandaluzia) أو (Vandalitia) وأطلقوا عليها اسم الجزيرة من باب التغليب فقالوا جزيرة الأندلس كما قالوا جزيرة العرب، و ماهي في الحقيقة إلا شبه جزيرة لاتصالها من أقصى الشمال بجبال البرتات أو الثنايا كما كان يعرفها العرب.³

وقيل اسمها في القديم "إبارية"، ثم سميت بعد ذلك "باطقة"، ثم سميت إشبانيا من اسم رجل كان ملكها في القديم كان اسمه إشبان، وقيل سميت بالإشبان الذين سكنوها في الأول من الزمان، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها.⁴

تطلق اليوم كلمة أندلشيا (Andalucia) بالإسبانية على المنطقة الجنوبية من إسبانيا، وهو اصطلاح إداري لا يمثل المعنى التاريخي المبين لمصطلح الأندلس.⁵

ثانيا: الموقع الجغرافي:

1 شهاب الدين ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ج2، ص48.

2 عبد الرحمان على الحجى: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، دار القلم، ط 2، دمشق، بيروت، 1981، ص37.

3 محمد كورد علي: غابر الأندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر، 1923، ص3.

4 محمد بن ناصر العبودي: رحلة الأندلس، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط1، المملكة العربية السعودية المدينة، 2014، ص29.

5 عبد الرحمان على الحجى، مرجع سابق، ص37.

بلاد الأندلس هي اليوم دولة اسبانيا والبرتغال، أو ما يسمى شبه الجزيرة الأيبيرية، ومساحتها (مجموع دولتين) ستمائة ألف كيلومتر تقريبا، تقع شبه الجزيرة الأيبيرية في الجنوب الغربي من أوروبا، على مثلث من الأرض، يضيق كلما اتجهنا نحو الشرق، ويتسع كلما اتجهنا إلى الغرب، وتتصل في الشمال بفرنسا (بلاد الفرنجة) بواسطة سلسلة جبلية تعرف بجبال البرينيه (جبال البرتات)، وباستثناء تلك الناحية فإن المياه تحيط بها من كل جانب، مما جعل العرب يطلقون عليها (جزيرة الأندلس) على سبيل التجاوز فالبحر المتوسط يحيط بها من الشرق والجنوب الشرقي، ويحيط بها المحيط الأطلسي من الجنوب مع البحر المتوسط.¹

ثالثا: تضاريس الأندلس:

لقد وصف الجغرافيون والرحالة والمؤرخون بلاد الأندلس بأوصاف كثيرة مثلما وصفها المقري فقال: "إن الأندلس هي الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة التي تشكل ربع المعمور الدنيا، فبموقعها وسط البلدان، كريمة البقعة بحكم الخلقة طيبة التربة، مخصبة القاعة متفجرة الأنهار معتدلة الهواء أكثر الأزمان وكذلك سائر فصولها في أعظم تأني على قدر من الاعتدال وتوسط الحال."²

وستتطرق فيما يلي إلى أهم التضاريس الموجودة في بلاد الأندلس:

1- الجبال:

تتميز الأندلس بمجموعة كبيرة من السلاسل الجبلية، ومن الجبال المشهورة بالعظم في بلد الأندلس منها: أ- جبل إلبيرة: وهو جبل الثلج، وهو متصل بالبحر المتوسط، منتظم بجبل ربه ولاصق بالجزيرة مع البحر ويذكر ساكنوه، أنهم لا يزالون يرون الثلج نازلا فيه شتاء وصيف، وهذا الجبل يرى من أكثر من بلاد الأندلس، ويرى من عدوة البحر ببلاد البربر، وفي هذا الجبل أصناف الفواكه العجيبة، وفي قراه المتصلة به يكون أفضل الحرير والكتان الذي يفضل كتان الفيوم.

¹بختي هجي، بلخياطي خيرة، جبار صليحة: الفتوحات الإسلامية فيما وراء جبال البرتات في الأندلس، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، 1ش: د/بوخاري عمر، جامعة، ابن خلدون، تيارت، 2020/2019 م، ص 9.

²أحمد بن محمد المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن خطيب، دار صادر، بيروت، 1988، مج 1، ص 71.

ب- جبل البرت: وهو الحاجز بين بلاد الإسلام وبلد غاليش، ومبدؤه من البحر القبلي المتوسط المجاور طرطوشة ومنتهاه إلى البحر الغربي بين الأشبونة وجليقة.¹

ج- جبل الفتح: ويسمى جبل طارق، المنسوب إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس، ولم يزل جبل طارق بقايا قلعة اسلامية كان طارق بن زياد أمر بإنشائها سنة 94 ويسمىها الإنجليز الآن (Moorish Castls) وجبل طارق اليوم مرسى محصن بيد الإنجليز يسكنه 25 ألف، والمدينة مشيدة على طود داخل كالذراع في بحر الزقاق طوله أربعة آلاف كيلومتر في عرض كيلومتر وثلاثمائة متر.²

د- جبل البرانس: تعتبر الجبال الفاصلة بين فرنسا واسبانية، وهي ممتدة من البحر المتوسط إلى البحر الأطلنطي، وبدايتها من جهة البحر المتوسط رأس "كريوس" في أرض إسبانيا وهو متصل "برأس سربار" من أرض فرنسا.³

هـ- جبل الشارات: ويسمى جبل العروس،⁴ وقرطبة هي العروس وهو تاجها كما سمي أيضا جبال سيارامورنيا أي جبال السمراء،⁵ وجبال قشتالة،⁶ وهذا الجبل يقسم الأندلس إلى قسمين، قسم شمالي وقسم جنوبي لأنه يقع وسط الأندلس، ويمتد جبل الشارات من شرق الأندلس عند ساحل البحر الذي يتوسطه مارا ببلنسية.⁷

1 أبو عبيد البكري: جغرافية الأندلس وأروبا، من كتاب المسالك والممالك، تح: عبد الرحمان الحججي، دار الإرشاد، ط1، بيروت، 1968، ص58.

2 العمري، المصدر السابق، ج4، ص125.

3 شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار، مؤسسة الهنداوي، مصر، 201، ج2، ص129.

4 محمد عبد الله عنان: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية أثرية)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2، القاهرة 1961، ص18.

5 شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج1، ص36.

6 الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، (د ط)، القاهرة، 1994، ج2، ص730.

7 مؤلف مجهول: جغرافية وتاريخ الأندلس، تح: عبد القادر بوباية، مؤسسة البلاغ، طبعة خاصة باب الزوار، الجزائر، 2013، ص

و- جبل سهيل: من أعمال رية،¹ لا يرى سهيل في شيء من أعمال الأندلس إلا فيه.² وهناك إشارات إلى عدد من الجبال الأندلسية جاء ذكرها عند القزويني انتشرت بمدن أندلسية من دون ذكر لأسماء هذه الجبال، فهو يقول: "في مدينة شلب جبل عظيم منيف كثير المسارح والمياه"³.

2- الأنهار:

إن كل المصادر التي تحدثت عن الأندلس أكدت خصوبة بلاد الأندلس التي غلبت عليها المياه الجارية والشجر المثمر والأنهار العذبة، وتوفير المياه وتنوعها من الأنهار الكبيرة والصغيرة والجوفية، وهذا ما سنتطرق إليه من خلال النقاط التالية:

- أ- نهر الوادي الكبير: أكبر نهر في إسبانيا بعد نهر إبرة، فهو ينبع من جبال قزولا Casorla وتجتمع إليه أنهار عدة صغيرة تجري في سفوح جبال مورنيه، أعاليه هائجة صاخبة، ولكنه يصل إلى قرطبة هادئاً، ويجري في البساتين متسعاً مرتاحاً، فيصلح للملاحة الشراعية إلى إشبيلية، حيث السفن التجارية المعتدلة الحجم تبحر منها إلى خليج قادش فالبحر الأطلنطي، وهذا النهر عرضة للفيضان المفاجئ السريع، من ذوب الثلج على الجبال، فيبلغ علوه على ما يقال ثمانية أمتار.⁴
- ب- نهر تاجة: نهر عظيم يشق طليطلة، اختلف الجغرافيون المشاركة في تحديد منبعه، أما شيخ الربوة قال إن منبعه من ناحية تطلية⁵، من جبل البشارة ومصبه في أشبونة⁶، وقيل إنه يعظم بما ينصب إليه من الأنهار والعيون⁷، أما مسافة جريته إلى أن يصب في البحر المحيط فخمسة وثمانون ميلاً.¹

1 رية: كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء وهي قبلى قرطبة وهي كثيرة الخيرات، لها مدن وحصون ورسائق، ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج4، ص457.

2 ابن عبد الحق صفى الدين عبد المؤمن البغدادي: مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع وهو مختصر لمعجم البلدان لياقوت الحموي، تح: على محمد البجاوي، ج2، درا الجبل ط1، بيروت، 1992، ص762.

3 القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دط، بيروت، 2007، ص541.

4 أمين الريحاني: ور الأندلس مكتبة لسان العرب، د، ط، القاهرة، مصر، 2012، ص12.

5 تطليه: مدينة بالأندلس في جوفي وشقة وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة وهي من أكرم تلك الثغور تربة وجودة زرع، ينظر الحميري: الروض المعطار، ص133.

6 شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البحر، مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية، دط، مدينة يطربورغ المحروسة، 1865، ص246.

7 أشبونة: الأنهار التي تنصب فيه قدرت عشرة أنهار ينظر البكري المسالك والممالك، ج1، ص240.

ج- نهر إبرة: يقع هذا النهر في شمالي شرقي شبه الجزيرة الأندلسية، ويصب في البحر الأبيض المتوسط، عند مدينة طرطوشة، وكان مملكة أراغون ونبارة يرتويان من هذا النهر.²

د- نهر دويرة: يطلق عليه العرب اسم الوادي الجوفي، ويسميه الإسبان دور³، منبعه من جبل البشارة ومصبه بين مدينتي البرتغال وقلمرية⁴،⁵ أما مسافة جريانه إلى أن يصب في البحر المحيط عند قلمرية فيقال إنها تسعمائة ميل وثمانون ميلاً⁶.

هـ- النهر الأبيض: أو ما يسمى نهر مرسية منبعه من قرطبة وبالتحديد جبل البشارة فوق أرنيط⁷، مسافة جريانه إلى أن يصب في البحر الرومي ثلاثمائة وعشرون ميلاً⁸.

3- الوديان: بالإضافة إلى الأنهار سنذكر بعض الوديان الموجودة في بلاد الأندلس:

أ- واد القناطر: يعرف بواد الملح، يقع في جبل العيون الذي يقع في مدينة لبلة⁹.

ب- واد المرية: يقال إنه من أبدع الأودية، " على أن الماء يقل فيه في فصل الصيف، فيكون بالقسط للبتاتين، ويبلغ متصلاً بمدينة (مرشانة)¹⁰ أربعين ميلاً¹¹."

ج- واد الثمرات: يوجد في مدينة لورقة وادي يعرف بـ (واد الثمرات) يرد إليه ماء وادي هناك يسقيه فينبت التفاح والكمثري والتين والزيتون ونحوها¹².

1 شيخ الربوة: المرجع السابق، ص 123.

2 محمود شيب خطاب: قادة فتح الأندلس، منار للنشر والتوزيع، ط 1، دمشق، 2003، مج 1، ص 90.

3 أحمد هيك: الأدب الأندلسي، من الفتح إلى سقوط الخلافة، دار المعارف، د ط، كورنيش القاهرة، 1985، ص 123.

4 قلمرية: مدينة بالأندلس من بلاد البرتغال بينها وبين قورية أربعة أيام ينظر ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج 7، ص 84.

5 شيخ الربوة، مرجع سابق، ص 246.

6 الوديان: مباحث الفكر ومناهج العبر، القسم النباقي، ج 2، دراسة وتحقيق: ناصر حسين أحمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د ط، بغداد، 2008، ص 252.

7 أرنيط: مدينة بالأندلس أزيلت بينها وبين تطليه ثلاثون ميلاً، وهي قلعة عظيمة منيعة من أجل القلاع. ينظر: الحميري، المصدر السابق، ص 27.

8 محمد بن إبراهيم الوديان، المرجع السابق، ص 100.

9 محمد بن إبراهيم الوديان، المرجع نفسه ص 252.

10 مرشانة: مدينة إشبيلية من حصون المرية ينظر الحميري الروض المعطار، ص 542.

11 العمري: مسالك الأبصار، مصدر سابق، ص 122.

12 زكريا بن محمد بن محمود القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص 556.

د- واد العسل: بقرب مدينة طريف عليه بساتين وجنات كما يذكر العمري، أما أبو الفداء فيقول: "إنه نهر الجزيرة الخضراء ويعرف بواد العسل وعليه مكان نزه".¹

4- العيون: تتعدد العيون التي يعتمد عليها في بلاد الأندلس، التي يعتمد عليها أهالي المنطقة وهي مقسمة إلى عيون عذبة يستغلها الأهالي في الشرب وري المحاصيل الزراعية، والأخرى عيون معدنية خصت للعلاج، وأخرى للحصول على المعادن المهمة الداخلة في الإنتاج الصناعي والتي سنتطرق إليها من خلال ما يلي:

- العيون العذبة: من المدن الأندلسية التي كثرت فيها:

- ✓ قرطبة: بها عيون وآبار، وعندهم ثلج يقع على جبل يقال له سليم بينه وبين قرطبة أربعة أيام،² يشربون من تلك العيون لشدة بردها.³
- ✓ مدينة ألس: "فيها عين، منها شربهم".⁴
- ✓ أرجونة⁵: "لهم عيون، ومزارعهم عليها وعلى المطر".⁶
- ✓ شوذر: على بعد ثمانية عشر من قرطبة، شربهم من أعين.⁷
- ✓ قرسييس: على بعد ستين ميلا من قرطبة، شربهم من أعين
- ✓ حصن بلكونة: "شربهم من عين واحدة وآبار، تبتعد حوالي أربعين ميلا من قرطبة".⁸
- ✓ عين أرناطة: انفرد القزويني من القرن 7هـ/13م، بذكرها قائلا: "وهي عين موجودة بأرطانة من قرى بلنسية، ينبع ماؤها من غار على قمة حوض، ويظهر ذلك الحوض على أنه يكثرتارة،

1أبو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، 1885، باريس، ص173.

2ابن الفقيه: كتاب البلدان، تح: يوسف الهاادي عالم الكتب، ط1، بيروت، لبنان، 1996، ص، ص، 139، 138.

3القزويني: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، تح: محمد بن يوسف القاضي، مكتبة الثقافة الدينية، ط1، القاهرة، 2005، ص80.

4ابن حوقل: صورة الأرض دار صادر، (د ط)، بيروت، 1937، ص116.

5أرجونة: بلد من ناحية جيان بالأندلس ينظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، ص121.

6المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تع: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية ط1، بيروت، 2002، ص188.

7أبو الفداء: مصدر سابق، ص116.

8 أبو الفداء: نفسه، ص188.

ويقل أخرى كالمند والجزر، وذلك يرى من كل يوم مرارا " هذه العين لابد أن استعملت مياهها للشرب من أهالي أرطانة.¹

✓ عين لهشر: تنبعث من نهر لهشر في مدينة لبلة، وصفها ياقوت الحموي من القرن 7هـ/13م قائلا " أغزرها ماء وأعذبها".²

✓ جيان: على بعد خمسين ميلا من قرطبة، بها اثنا عشرة عينا.³

✓ سرقسطية: بها عين حكى عنها القزويني قائلا: "إنها يابسة العام كله، فإذا كان أول الشهر ليلة في الشهر أغشت، انبعثت بالماء تلك الليلة، ومن الغد وقت الزوال، فعند ذلك يبدأ فيه النقصان، وإلى أول الليل يجف، ويبقى كذلك إلى تلك الليلة من العام القادم".⁴

– العيون المعدنية العلاجية: لابد أن نذكر في هذا الصدد، أن الأندلس تضم العديد من العيون استعملت مياهها لعلاج الأمراض، والتي سنذكر منها:

✓ عين غرناطة: هذه العين تقع في مدينة غرناطة، بالقرب من كنيسة هناك، إلى جانبها شجرة زيتون مباركة، تتدفق في اليوم الذي تزهر فيه الشجرة، والناس يقصدونها في ذلك اليوم، للأخذ من الزيتون الذي يكبر وينعقد في يومه، والأخذ من تلك العين للتداوي.⁵

✓ عين حصن الحمة: وهو حصن عرف بإتقان بنائه، وسخونة ماء عينه، " كان المرضى والمعلولون يقصدونه من كل الجهات، ويلزمون المقام به إلى أن تستقل عللهم.

✓ عين بلقوار: بلقوار قرية من قري تدمير بأرض الأندلس، بها حمة شريفة حسنة عليها دماس للرجال، وديماس للنساء، وأصل العين في ديماس الرجل.

وفي وسط مدينة اشبونة، حمة حارة صيفا وشتاء، قال القزويني " على أحد أبواب اشبونة المعروفة باب الحمة، حمة قريبة من البحر، تجري بماء حار صيفا وشتاء".¹

1القزويني، آثار البلاد، مصدر سابق، ص494.

2الحموي: معجم البلدان مصدر سابق، ص175.

3أبو الفداء، المصدر السابق، ص189.

4القزويني: آثار البلاد مصدر سابق، ص535.

5القزويني، نفسه، ص535

خامسا: الثغور الأندلسية:

1- الثغر: وجمعها ثغور، كل موضع قريب من أرض العدو ويسمى ثغرا، كأنه مأخوذ من الثُّغرة، وهي الفرجة في الحائط.²

والثغر ما يلي دار الحرب وموضع المخافة من فروج البلدان، والثغر الموضع الذي يكون حداً فاصلاً بين بلاد المسلمين والكفار، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد.³

لما فتح المسلمون شبه الجزيرة أغفلوا الزاوية الشمالية الغربية منها فكانت نواة لإقامة ممالك (دويلات) نصرانية لعبت دوراً خطيراً في استرداد نصارى الشمال لمدن الأندلس الواحدة بعد الأخرى، ومن هنا وجد ما يعرف بالثغور، أي المناطق الإسلامية المتواجدة على الحدود مع الممالك الإسبانية النصرانية، حيث وجدت بها ثلاثة ثغور أندلسية وهي:

- **الثغر الأعلى (الثغر الأقصى):** وعاصمته سرقسطة، يواجهه مملكة نواره.

- **الثغر الأوسط:** وعاصمته مدينة سالم، ثم طليطلة، يواجهه مملكتي فشتانه، وليون.

- **الثغر الأدنى:** ويقع بين نهر دويرة وتاجه، كانت عاصمة طليطلة أولاً، ثم حلت غيرها لعلها قورية.

كانت في شمال إسبانيا، حوالي القرن الرابع للهجري، ثلاث دويلات نصرانية:

2- ليون: في الشمال والشمال الغربي، عاصمتها مدينة ليون، تضم منطقتي جليقية، وأشتوريش.⁴

3- قشتالة: عاصمتها مدينة برغش وتقع بين ليون ونافار.

نبرة (نافار): عاصمتها مدينة بنبلونة، في الشمال والشمال الشرقي حيث تسكن قبائل البشكنس.⁵

سادسا: المناخ:

1 القزويني، نفس المصدر، ص 535.

2 ابن المنظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكسر، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف الجديدة، كورنيش النيل، دت، ص 171.

3 أحمد عطية: القاموس الإسلامي، دار النهضة العربية، د ط، القاهرة، 1979، ص 538.

4 عبد الرحمان علي حجي: مرجع سابق، ص 38.

5 عبد الرحمان علي الحجي، المرجع السابق، ص 38.

مناخ الأندلس أو شبه الجزيرة الأيبيرية، قريب من مناخ البحر المتوسط أي بها مناخان، مناخ البحر المتوسط الذي يسوده الجهات الشرقية والجنوبية منها،¹ وهو يجمع بين الشتاء الممطر والصيف الحار والجاف والذي يتأثر بمؤثرات المحيط الأطلسي طوال السنة بفضل الرياح الغربية.²

ومناخ غرب أوربا الذي يسود الجهات الشمالية والشمالية الغربية، ويذكر "أحمد بن محمد موسى الرازي: "بلد كريم البقع طيب التربة، خصب الخباب، مُنبَجِس بالأنهار الغزار والعيون العذاب، قليل الهوام ذات السُموم، معتدل الهواء والجو النسيم، ربيع وخريف وشتاء ومصيفه على قدر من الاعتدال وَسِطَةً من الحال، لا يتولد في أحدها فضل يتولّد منه فيما يتلوه انتقاص، تتصل فواكه أكثر الأزمنة وتدوم متلاحقة غير مفقودة، أما السّواحل منه ونواحيه فيبادر بباكورة، وأمّا الثغر وجهاته والجبال المخصوصة ببرد الهواء، فيتأخّر بالكثير من ثمره فمادة الخيرات بالبلد متمادية في كلّ الأحيان، وفواكه على الجملة غير معدومة في كل أوان".³

ووصف المناخ من المؤلّفين الأندلسيين القدامى، لا يقتصر على وصف المناخ فحسب، بل يشمل المنتوجات الزراعية والحيوانية أيضاً، فهو من هذه الناحية مفيد للغاية في بحث الموارد الاقتصادية للأندلس، وعلى كل حال فالعلاقة وثيقة بين المناخ والموارد الاقتصادية للبلد الواحد كما هو معروف. ولكن الأقاليم الشمالية باردة لأنها جبلية، وتصلح أن تكون مصايف متميّزة صيفا لطيب هوائها وغزارة مياهها أما الأقاليم الساحلية، فمناخها هو مناخها هو حوض البحر الأبيض المتوسط اعتدالا في هوائها وفصولها السنوية الأربعة، وهي مصايف جيدة لطيب جوّها وكثرة فواكهها.⁴

1فايزة محمد حساني: تاريخ مدينة سرقسطة، مذكرة ماجستير مخطوطة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية 1430هـ، ص26.

2بيداء محمود حسن حميد القيسي: الزراعة والري في عصر الإمارة والخلافة بالأندلس، مذكرة ماجستير في تاريخ الفنون الإسلامية مخطوطة، جامعة بغداد، العراق، 2005، ص34.

3كمال السيد أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، الإسكندرية، (د ط)، (د ت)، ص220.

4ابن الفقيه: البلدان، مرجع سابق، ص102.

المبحث الثاني: نظام الحكم في الأندلس قبل الفتح الإسلامي:

أولاً: نظام حكم القوطيين:

غزا القوط الإمبراطورية الرومانية سنة (410م)¹ بما فيها إسبانيا واستقروا فيها وأخذوا يعملون على توسيع سلطاتهم على نواحيها شيئاً فشيئاً²، وقد انقسم القوط عند خروجهم من موطنهم اسكندناوة إلى فريقين، هما القوط الشرقيون، والقوط الغربيون³، ولا توجد علاقة بين الموقع الجغرافي وتقسيم القوط إلى شرقيين وغربيين.⁴

استبد القوط بالحكم، لاسيما قبيل الفتح الإسلامي، وبسوء سياستهم ساءت حالة إسبانيا، واضطربت حياة سكانها، فالفوضى منتشرة، وكثير من الناس يعيشون الشقاء لسوء الأحوال المعيشية ولسياسة الاستغلال، فكان الشعب يستغل لحساب الطبقة الحاكمة والمترفة وأصحاب المصالح، يضاف إلى ذلك الصراع الذي وجد بين الطبقات والحاكمين، وفيما بين الحاكمين أنفسهم والشعب الإسباني مثل غيره من الشعوب الأوروبية مقسم إلى طبقات عديدة هضمت حقوقها مع وجود الفوارق الطبقيّة، فلا يحظى بالعيش الهنيء إلا طبقة معينة حصلت على امتيازات، والأسرة المالكة بيدها كل شيء، دونا لطبقات:

- طبقة النبلاء، ومنها الطبقة الحاكمة
- طبقة رجال الكنيسة، التي تشارك النبلاء في حكم البلاد والاستمتاع بخيراتهما.
- طبقة التجار والزراع والملاك الصغار، الذين يتحملون الضرائب المختلفة.⁵
- طبقة عبيد الأرض الذين يتبعون مالكيها وينتقلون مع ملكيتها من سيد إلى آخر.
- طبقة العبيد التي تكونت من أسرى الحرب ويتصرف فيهم بيعة وشراء.⁶

1عبد المنعم حمدي: المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية د ط، 1999، ص39.

2عبد العزيز سالم السيد: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، دط، لبنان، 2015، ص53.

3مؤنس حسين: فجر الأندلس، مرجع سابق، ص ص، 2، 3.

4عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1976، ص 83.

5عبد الرحمان علي الحججي: التاريخ الأندلسي، مرجع سابق، ص29.

6نفسه، ص 30.

اختار القوط الغربيون مدينة طليطلة، دارا لملكهم، لحصانة موقعها وأهميتها¹، وكان نظام الحكم القوطي ملكيا انتخابيا²، فكان النظام يشكل بيئة خصبة للخلافات والمنازعات للطامعين في الوصول إلى العرش في حالة ضعف السلطة الحاكمة للبلاد³، حيث سنتطرق إلى أهم الملوك التي تداولت الحكم من خلال ما يلي:

يعتبر أتولف أول ملك قوطي يدخل إسبانيا، وعرف عنه تعشقه للحضارة الرومانية والتقاليد الرومانية، غير أن أقلية من أتباع أتولف لم تشاركه هذا الإعجاب، وعندما مات مقتولا على يد أتباع ساروس عام 415م، والتي جاءت فرصة للحزب المعارض للرومانية، ويزعم هذا الحزب سيجريك أخو ساروس، انتخب القوط سيجريك ملكا عليهم سنة 415 ولم ينتخبوا أخ الملك المتوفي⁴. استهل سيجريك عهده بقتل أبناء أتولف الستة من زوجته الأولى، لكن ولاية سيجريك لم تطل فقد لقي حتفه بعد أسبوع فقط من تملكه على يد واليا الذي ولى على العرش القوطي من بعده (415-420 م)⁵.

وينتسب واليا إلى أسرة الباطيين، وهو بذلك ثاني ملوك هذه الأسرة، والخلف الحقيقي لآتولف، حارب الرومان في صدر حكمه، كما حارب السويق والوندال، واستطاع واليا أن يطرد الآلان من لوزيتانيا في الغال خلال عام 418م، غير أن قسطنطيوس لم يرقه أن يصبح القوط بهذه القوة والنفوذ في إسبانيا، واقترح على الإمبراطور منح واليا منطقة اكويتانيا بالغال فقبل بذلك ومنح واليا هذه المنطقة واعترف به حاكما معاهدا عام 419م، وتشمل اكويتانيا كل فرنسا الحالية جنوب نهر اللوار، ظل واليا يعمل على تدعيم مملكة القوط حتى توفي في عاصمته عام 420م، لم يترك وريثا بعده، سوى ابنة، فانتخب القوطيين الغربيون ثيودريك، ثالث ملوك أسرة الشجعان (420-451م) وهو وإن حافظ على المعاهدة مع الرومان، إلا أنه كان يضمّر في قرارة نفسه العمل على توسيع مملكته وتدعيمها وأمر الخروج

1 الحميري: الروض المعطار، مرجع سابق، ص393.

2 لوبون جوستاف، حضارة العرب، تر، عادل زعتير، دار إحياء الكتب العربية، ط3، القاهرة، مصر، 1956، ص، 285.

3 عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس القسم الأول من الفتح إلى بداية عهد الناصر، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، مصر، 1997، ص ص، 28، 29.

4 حسين مؤنس: فجر الأندلس (دراسة تاريخية في الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية 711-756م)، دار الرشاد، ط1، 1956، ص13.

5 عبد الرحمن حجي، مرجع سابق، ص30.

عن المعاهدات مؤلف في ذلك العصر رأى ثيودريك أن مملكته يحيط بها الفرنجة من الشمال والبرجنديون من الشرق، بينما كان الرومان لا يزالون يمتلكون بعض المدن الثرية جنوب الغال مثل آزل وتاربون، انتهر ثيودريك فرصة الاشتراك مع الرومان لإخماد ثورة حنا الخارج عن الإمبراطورية في غاليا واستطاع ثيودريك أن ينتصر، وأن يخمد الثورة التي انتهت بمقتل زعيمها، لكن الملك القوطي لم يلقي سلاحه بعد إخماد الثورة بل حاصر مدينة آزل، فلم يسع القائد الروماني أقيوس، إلا أن يهاجم القوط الغربيين ويهزمهم ويأسر أتولف قائدهم ومنذ ذلك الوقت اضطربت العلاقة الرومانية القوطية، بين الحرب والمهادنة، وعقد الموثائق ونقدمهم.¹

لكنه ألحق بهم الهزيمة سنة 439م، ثم ساد السلام بين الطرفين، أخيرا مات ثيودريك الأول سنة 451م، أثناء حربه مع الهون.

خلفه في حكم القوط الغربيين ثيودريك الثاني (451-465م) الذي حارب السوفي في شمال غرب إسبانيا وغزا ناريون قرب الحدود الغالية الإسبانية كما مد مملكته حتى نهر اللوار، على أن ثيودريك الثاني لم يلبث أن قتل سنة 465م،² بواسطة أخيه أيوريك (465-474م)، الذي يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة القوط الغربيين في أباريه وغاله، إذ تمكن من مد نفوذه على إقليم لشداثة الذي يحتله الألان، وبذلك خضعت له كل أيبيريا، كما تمكن من بسط نفوذه جنوب غالة،³ وأخضع السوفي كما وضع مجموعة قواعد للقانون الجرمانى، والحق أن مملكة القوط الغربيين التي ظلت قائمة في إسبانيا حتى الفتح العربي في أوائل القرن الثامن، تعتبر أقوى الممالك الجرمانية في الفترة الواقعة بين سقوط الإمبراطورية الرومانية في الغرب سنة 476م من جهة، وقيام مملكة الفرنجة في شمال غاليا ومملكة القوط الشرقيين في إيطاليا في أواخر القرن الخامس و أوائل القرن السادس من جهة أخرى.⁴

1 إبراهيم علي طرخان: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دولة القوط الغربيين مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، 1958، ص، ص، 88، 89-90.

2 سعيد عبد الفتاح عاشور: مرجع سابق، ص 71.

3 وديع أبو زيدون: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مراجعة: هاني المحل، ط 4، د، م، د، ت، ص 23.

4 إبراهيم علي طرخان: مرجع سابق ص 92.

حرص يوريك منذ صارت إليه زعامة القوط على أن يمد سلطانه شيئاً فشيئاً حتى بسطه على شبه الجزيرة الإيبيرية كله¹، إلا أن هذه الحوذ لم يقدر لها أن تثبت طويلاً على ما وصلت، فلقد انحصر نفوذ القوط الغربيين على أراضي غالة واقتصرت أملاكهم على إسباني ابعء أن هزمهم كلوفيس، زعيم الفرنجة سنة 507م وفيها قوتل الملك ألاريك الثاني.²

ثانياً: **تركيبية سكان الأندلس:** تميز سكان الأندلس في عهد القوطيين بوجود عدة طبقات اجتماعية تقسم المجتمع والتي سنتطرق إليها فجماليلي:

1- الأشراف: تتكون من طبقتين:

أ- **طبقة النبلاء:** وهم الأمراء القوط على رأس النظام القوطي، بالإضافة إلى بقايا طبقة النبلاء الرومان الذين تحالفوا معهم للمحافظة على مكتسباتهم وامتيازاتهم

ب- **طبقة رجال الدين:** استغل رجال الدين مركزهم الديني المتميز فاستمتعوا بقسط وافر من النفوذ والسلطان، فامتلكوا الأراضي الواسعة والضياع والقصور الحافلة بالعبيد، وأصبحوا على درجة عالية من الثراء، فتناسوا المثل العليا التي نادوا بها في حين كانوا فقراء، وساعدهم على بلوغ تلك الدرجة تدوين الأيبيريين عامة وسيطرة الدين في العصور الوسطى على مجمل الحياة، وتمتع رجال الدين بمركز مرموق لدى الحكام مما جعل لهم تأثيراً مكنهم من توجيه القوانين والنظم بما يكفل لهم كسب مزيد من النفوذ والامتيازات، والقدرة على التدخل في الشؤون السياسية والعسكرية، وصياغة الحياة العقلية والاجتماعية وفقاً لتوجيه الكنيسة وغاياتها، فكانوا يحضرون المجالس الوطنية التي كانت تنظر في الشؤون العامة للدولة، ويصادقون على انتخاب الملك، وادعت هذه الفئة لنفسها الحق في عزله إذا أبى الإذعان لقراراتها.³

2- الطبقة الدنيا:

أ- طبقة العبيد:

تكونت هذه الطبقة من المزارعين البسطاء، والعبيد الأرقاء، وارتبطوا بالأرض وأُلقوا بالضياع، وللسيد عليهم حق الحياة أو الموت، ومن البديهي أن نشير إلى هؤلاء جميعاً كانوا مسخرين لرفاهية

1 حسين مؤنس، فجر الأندلس، مرجع سابق، ص 15.

2 السيد عبد العزيز السالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مرجع سابق، ص 54.

3 دوزي رينهرت: المسلمون في الأندلس، المسيحيون والمولدون، تر وتح: حسن حبشيا لهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1998 ج1، ص، ص، 27، 35-36.

الفئات الرفيعة من النبلاء والأسرة الحاكمة وكبار رجال الدين، وكانوا يُستخدمون في الأغراض الزراعية والأعمال المنزلية على حد سواء، فرزحوا تحت شقاء الحياة وبؤسها، وسُلبت منهم كل الحقوق المدنية، وهم أكثر عدداً من أفراد الطبقات الأخرى، وأقل حقوقاً.¹

ب- طبقة اليهود:

لقد شكل اليهود عنصراً مهماً في مملكة القوط الغربيين ويعود تاريخ استبطانهم في شبه الجزيرة العربية إلى زمن بعيد،² كانوا ينتشرون في مناطق عديدة من البلاد، لكنهم تركزوا بالدرجة الأولى في المراكز الحضرية المتقدمة، مثل العاصمة طليطلة، وفي مناطق الجنوب، وعلى طول ساحل البحر المتوسط في شرق إسبانيا، وتختلف حالة اليهود الاقتصادية، وطرائقهم في الحياة في إسبانيا اختلافاً كبيراً، فمنهم من كان يعمل في التجارة داخل البلاد وخارجها، بينما الآخرون فقراء لا يملكون أية ممتلكات،³ ويشير بعض المؤرخين إلى أن ملكية الأرض كانت الأساس الذي تقوم عليه معيشة بعض اليهود في إسبانيا، فكان هؤلاء يعيشون في قري ويزرعون أراضيهم بأيديهم، بينما تولى آخرون الإشراف على المزارع التي يمتلكها المسيحيون، ولكن يبدو من التشريعات الكثيرة التي تخص اليهود في إسبانيا، أن فعاليتهم التجارية كانت مهمة بقدر أهمية نشاطهم الزراعي.

1دوزي رينهرت، مرجع سابق، ص 30، 29.

2New, Skate: The Jews in the Visigoth and Frankish Kingdoms of Spain and Gaul
York, 1970, pp. 3, 5.

3E3, Thompson, A. the Goths in Spain, Oxford, 1969, pp. 278, 281-282.

الفصل الثاني:

أسباب الفتح الإسلامي للأندلس

المبحث الأول: روايات حول أسباب فتح الأندلس

المبحث الثاني: قراءة حول روايات فتح الأندلس

المبحث الأول: روايات حول أسباب فتح الأندلس

أولاً: أسباب فتح الأندلس في الدراسات العربية

1- الأسباب الاستراتيجية:

كان فتح الأندلس نتيجة طبيعية لتمام فتح المغرب¹، لأنها تعد الجناح الغربي للمغرب، فالجوار الجغرافي بين البلدين والتقارب العنصري بين الشعبين والتجانس التاريخي منذ التوسع الاستعماري الفنيقي جعل من هاتين العدوتين بمثابة منطقة استراتيجية واحدة وهامة²؛ وقد استغل المسلمون طبيعة هذه العدو فهي محدقة بالبحر المحيط الغربي والبحر المتوسط القبلي ويصعد منه قليل إلى ناحية الشرق، فجعلوا من سلاسل الجبال والوديان والأنهار³، التي تقطعها في خطوط مستعرضة من الشرق إلى الغرب بمثابة شبكة دفاعية ضد أي هجوم يقع عليها من المسيحيين في الشمال.

2 - حث البربر على الجهاد:

تجمع المصادر والدراسات الحديثة على أن البربر هم الذين تولوا فتح الأندلس، وتعددت عبارات الثناء والمديح في حقهم، فهذا عبد العزيز سالم يقول: وهذه هي المرة الأولى في تاريخ الفتوح العربية التي يتولى فيها جيش بأكمله من المغلوبين فتح قطر من الأقطار الكبرى كالأندلس⁴.

ويقول محمد حقي في كتابه "البربر والأندلس": لقد كان فتح الأندلس فكرة بربرية تم تنفيذها بجيوش معظمها بربري⁵، ويسانده أحمد مختار العبادي فيقول: "أن المسلمين لم يتمكنوا من السيطرة على بلاد المغرب إلا بعد أن ابتعدوا عن سياسة العنف وعملوا على إكساب قلوب البربر عن طريق نشر الإسلام بينهم وإدخالهم في الجيوش العربية كجنود محاربين.

ويعتبر هذا حدثاً فريداً في تطور السياسة العربية في هذه الفترة الإسلامية الأولى، إذ أن العرب لم يجندوا أهالي البلاد المفتوحة على مثل هذا النطاق الواسع، وكانوا يعتبرون أعمال السياسة والحرب من صميم انتصارهم وحدهم.

1- وديع أبو زيدون، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مكتبة بيروت، ط4، 2011 ص 91

2- أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، بدون طبعة، ص 31

3- سوزي حمود، الأندلس في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009، ص 28

4- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1981، ج2، ص 270

5- محمد حقي، البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1، 2001، ص 165

وواضح أن إشراك العرب مع البربر في جيش واحد يرجع إلى تشابه الجيشين، ذلك أن الفتح العربي كان له تأثير قوي، إذ نشأ عنه انتشار دين جديد وهذا التحول كانت له آثار إيجابية في فتح الأندلس لأن معظم قبائل البربر أخذت بعد اعتناقها للإسلام تتوق إلى الحرب والجهاد، ونفسية البربر المغربية مثل نفسية العرب قلقة وتريد الحركة والكفاح ولم يكن أمامهم سوى الحرب وملاً أيديهم من الغنائم¹.

ويقيدنا مؤلف مجهول في ذكره للفقهاء والعلماء من البربر ودورهم في فتح الأندلس حيث يقول "أولهم شيخ قرطبة يحيى بن يحيى بن أبي عيسى كثير بن وسلاس بن شمال المصمودي الأصادي دخل جدهم شمال الأندلس مع طارق بن زياد وشهد الفتح².

3- نمو البحرية العربية الإسلامية:

لقد كان للبحرية العربية الإسلامية دور هام في فتح الأندلس، رغم عدم تركيز المصادر العربية إلى ذلك إلا أنه من المؤكد أن العرب المسلمين بذلوا نشاطا بحريا استعدادا لمثل هذا الفتح الذي يتطلب إنشاء القواعد وبناء الأساطيل البحرية وإرسال السرايا حتى تختبر ولا تغرر بالمسلمين³.

ومما لا شك فيه أن لامتداد السواحل المغربية والأندلسية دور في تعدد المراسي بتوفر المواد الضرورية لصناعة الأساطيل كالخشب الصنوبري ومعدن الحديد والنحاس والألياف وغير ذلك، ولا يمكن أن ننقص من مهارة العرب المسلمين الذين اعتمدوا بالدرجة الأولى على القوى البحرية الذاتية في سبيل تحقيق هذا الفتح الكبير الذي اقتحم أوروبا لأول مرة في تاريخ الفتح الإسلامي⁴.

4- التحالف مع يوليان حاكم سبتة:

1- مؤلف مجهول، تاريخ البربر "مفاخر البربر"، جهاد للنشر والتوزيع، ط1، 1998، ص 63.

2- أحمد مختار العبادي، مرجع سابق، ص 48.

3- عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1969. ص 57

4- جرجي زيدان فتح الأندلس، تق محمود علي مكي مؤسسة دار الهلال، ط1، 1984 ص 94.

تشير معظم المصادر العربية إلى أن السبب الرئيسي وراء فتح الأندلس هو تحالف يوليان¹ مع القائد العربي موسى بن نصير فالرواية الإسلامية ترجعه إلى وازع الانتقام الشخصي وتسوق في ذلك قصة ملخصها أن الكونت يوليان حاكم سبته، كانت له ابنة جميلة وجريا على عادة الطبقة الراقية في ذلك الوقت أرسلها إلى القصر الملكي القوطي طليطلة² لتتأدب وتتعلم فيه أسوة بغيرها من بنات الطبقة الراقية، لكن الملك لذريق³ اعتدى عليها فكتبت إلى أبيها تخبره بما حدث.

وتضيف الرواية أن الملك القوطي طلب من يوليان أن يرسل إليه صقورا للصيد فرد عليه يوليان بقوله "سأهديك صقورا لم تر العين مثلها ويقصد بذلك العرب، وهذا ما جعل يوليان يحقد عليه ويتصل بموسى بن نصير ويهون عليه غزو إسبانيا، مبينا له سوء الأحوال فيها⁴.

ويضيف ابن عبد الحكم فيقول: "إني مدخلك الأندلس"⁵، وهذه أكبر عقوبة ومكافأة له. وأيا تكن دوافع يوليان وهي على الأرجح خوفا على سلطانه ونفوذه من نظام الذريق الجديد في سبته؛ إذ من المؤكد أن المؤرخين يعطونها من الأهمية أكثر فمهما عظمت أحقاد حاكم أن يقدم على عمل يعتبر خيانة لقومه.

وفي واقع الأمر اجتمعت للمسلمين أسباب متعددة لفتح إسبانيا التي كانت في مقدمتها فتح بلاد المغرب، والتطور الكبير في أساليب القتال للجيش الإسلامية وبناء القاعدة التحتية للصناعات. الحرية البحرية ولا يمكن إنكار أثر البربر في مسيرة الفتح الإسلامي نحو إسبانيا، كما كان ليليان والمعارضة المتزايدة للذريق الدور الأكيد في تعجيل الفتح.

ثانيا: أسباب فتح الأندلس لدى المستشرقين

1- يوليان: تختلف المصادر العربية في أصله فابن القوطية يقول إنه تاجر من تجار العجم وفي أخبار مجموعة يوصف بالعلج ويذهب ابن عذارى في البيان إلى أنه كان قوطيا ويلقبه ابن الأثير بالبطريق أي أنه رومي وابن عبد الحكم يعتقد بوجود صلات من الولاء تربطه بلذريق.

2- طليطلة: بالأندلس بينها وبين البرج المعروف بوادي الحجارة وهي مركز لجميع بلاد الأندلس لأن منها إلى قرطبة تسع مراحل وهي كانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق بن زياد الحموي الروض المعطار في خبرا ر الأقطار، ص 393.

3- ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والأندلس، تح عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1964، ص 72.

4- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص 25.

5- ابن عبد الحكم، مصدر سابق، ص 75.

1- شبهة انتشار الإسلام بالسيف:

أثارت السرعة الكبيرة التي انتشر بها الدين الإسلامي مقارنة مع الديانات الأخرى حفيظة العالم بشكل عام والغرب بشكل خاص، وبدأ الغرب يسلط دراساته لمعرفة سر هذا الانتشار؛ وقد أظهرت بعض الدراسات التي أجراها المستشرقون تزييفا للحقائق وتشويها لصورة فتح الأندلس بالإضافة إلى طعن وتكذيب للحقائق والوقائع التي خاضها الفاتحون في نشر الإسلام.

يرى الباحث فان فلوتن¹ أن الإسلام قام بحد السيف وانتشر بين الشعوب عن طريق التهديد والوعيد، إذ لم يكن الغرض من الفتوحات الإسلامية على هذه الصورة هو إدماج شعب في شعب آخر أو العمل على نشر دعوة دينية، وإنما هو احتلال بقوة السيف².

ويظهر من خلال المناهج الغربية التي كان الغرب يدرسونها لأبنائهم مدى الحقد والكراهية التي يحملونها تجاه جيوش المسلمين التي فتحت البلاد، إذ يقولون "وتدفقت جموع العرب المتوحشين بوجوههم السوداء فوق أرض إسبانيا التي تركها أهلها فزعا وأنبئت الأرض ألما تحت وقع سنابك خيولهم التي خربت الحقول وهدمت المنازل ولم تترك نبثا ولا زرعاً".

وهذا ما تذكره المؤرخة الألمانية زغريد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب" وتروي أن أطفال المدارس في إسبانيا كانوا يدرسون ذلك عن المسلمين كنا نظنها حقائق لا تقبل الشك غير أننا علمنا أن العرب أسسوا حضارة رائدة في بلاد أوروبا.

ويرى المستشرق جاك ريسلر أن العرب لم يظهروا بمظهر المحررين كما كان حالهم في الشرق، لكنهم عرفوا كيف يفيدون من الانقسامات بشكل رائع، وأنهم وجدوا في البربر مساعدين من الطراز الأول في مرحلة فتح إسبانيا التي كانت محكومة استبداديا من طرف بعض الأمراء "الفيزيغوت"³.

ويرى أيضا أن القيمة الحربية للعرب ليست التفسير الوحيد لفتوحاتهم المذهلة؛ فقد ساعد على تحقيقها ضعف خصومهم، إذ كانت حملاتهم تبدأ عموما كهجمات ظل هدفها النهب أكثر من فتح الأراضي والاستيلاء عليها، فلم يكن هناك أي تخطيط مسبق ومصمم بنضج ودقة، والواقع أن تلك

1- فان فلوتن: السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية تر: إبراهيم حسن، مطبعة السعادة، ط1، 1934، ص5.

2- نفسه، ص6.

3- جاك ريسلر: الحضارة العربية تع: خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت باريس، ط1، 1993، ص48.

الهجمات الصاعقة والبعيدة تدل على طابع الآلة العملاقة التي تغدو بعد إطلالتها غير خاضعة لرقابة أولئك الذين أطلقوها¹.

ويقول المستشرق الإنجليزي "مونتجومري" وات في هذا الصدد إنه خطأ شائع الاعتقاد بأن الجهاد كان يعني أن يخير المسلمون خصومهم بين الإسلام أو السيف، وإذا كان الأمر كذلك في بعض الأحيان؛ فقد اقتصر على الأحوال التي كان فيها خصومهم².

فالإسلام يحارب الأنظمة الحاكمة التي تعيق تقدم الدعوة الإسلامية، ويترك حرية الاختيار للشعوب في الدخول إلى الإسلام من عدمه؛ وقد انتشر الإسلام في عدة أقاليم بالتجارة، والمعاملة الحسنة

2- الأسباب الاقتصادية:

يرى معظم المستشرقين أن ما حمل المسلمين على فتح الأندلس كان السبب المالي والاقتصادي وأرجعوا أن الهدف الأساسي من هذا الفتح هو حب الغنائم وليس الحرص على نشر الإسلام والجهاد في سبيله كما يقولون

وقد ذكر الباحث مونتجومري وات في هذا الصدد وقد ينظر إلى هذه الغارات باعتبارها جهادا في سبيل الله غير أن حب الغنيمة كان يشكل جانبا كبيرا من الحافز عليها؛ وقد كان أهالي الأقطار التي تمر بها جيوش المسلمين يستسلمون عادة بعد تعرضهم لغارة أو غارتين ويصبحون بالتالي من أهل الذمة. ويرى الباحث "أنتوني نتنج" أن الضرورة الاقتصادية كانت الحافز الحاسم الذي ساق الجيوش العربية إلى الغزو وأن الدافع الذي أخرج الجيوش العربية إلى غزو أراضي تتجاوز حدود بلاده كان الحاجة إلى مجال حيوي، أو بعبارة أدق الحاجة إلى مجال للعيش حيث الغذاء لأسراقتهم والماء لقطعانهم³. ويستدل فان فلوتن على ذلك فيقول كان "يضطّر المسلمون إلى شن الغارات على الكفار وتخريب بلادهم وسبي نسائهم، وطالما كانت تغري الغنائم بعض الفاتحين فيشنون الغارات على بعض الولايات قبل لأن يعلنوا الحرب عليها⁴.

1- جاك ريسلر المرجع السابق، ص 51.

2- مونتجومري وات: تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: محمد رضا المصري، شركة المطبوعات للتوزيع، نباجة الوهاد، ط1، 1998، ص 23.

3- أنتوني نتنج: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام تر: راشد البراويز، مكتبة الأنجلو المصرية، ط، 1974، ص 68.

4- فان فلوتن: المرجع السابق، ص 23.

ويدل على ذلك الباحث فليب حتى فيقول: "بأن الفتوحات الإسلامية لم تكن في بدء عهدها نتيجة لخطّة مرسومة بل كانت عبارة عن غزوات مصدرها الروح المتحفزة للقتال، الذي حرم الإسلام ممارسته بين القبائل المسلمة المتآخية التي غايتها الأولى الغنيمة لا الفتح الدائم، فكثرة الجيوش العربية كانت تتألف من البدو الذين خرجوا من ديارهم بدافع الحاجة الاقتصادية لا بدافع الغيرة على الدين. ويرجع الباحث "فان فلوتن" أن تحمس العرب في فتوحاتهم كان بسبب ما يعانیه هؤلاء في ديارهم من جوع وحرمان وأن الأنانية والجشع شقت طريقها إلى نفوس العرب واستولت على قلوبهم عندما وجدوا النعيم والثراء، إذ أن هذا الثراء لم يكن مؤلفاً عليهم من ذي قبل وأنه عمل على إفساد نفوسهم ولم يهذب أخلاقهم، مشيراً إلى أن الأسر البارزة في أوائل الفتح الإسلامي قد جمعت مبالغ ضخمة من الغنائم¹. وهو نفس المنحنى الذي توجه إليه المستشرق الفرنسي كازانوفاً بقوله "كانت نفسية الأمويين عموماً نفسية مجبولة على الطمع ومحاولة الإثراء إلى حد الجشع وحد الفتح من أجل النهب والحرص على الغزو للتمتع بالملذات الدنيوية.

ويدعمه في الرأي المستشرق بروكلمان الذي يرى لا ضير أن يكون الدافع الاقتصادي مكملًا للجهاد، فتثير كنوز طليطلة شهية المقاتلين سواء البربر أو العرب الذين انضموا معا تحت راية الإسلام"². ففي نظر المستشرقين أن الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام ما هي إلا مبررات استخدمها المسلمون ليخفوا نيتهم الحقيقية من وراء هذا الغزو؛ فقد كان الغزاة من العرب يجوبون الديار غانمين مخبرين، ويظهر من الأدلة السابقة لآراء المستشرقين أن العامل الاقتصادي في نظرهم هو المحرك الأول للفتح وتفنيدا لتلك المزاعم الباطلة نذكر:

تعتبر الغاية من الجهاد لدى المسلمين هي مرضاة الله تعالى ونشر الدعوة وليس الغنائم فلو كان السبب وراء ذلك الجوع والفقر لما خرج أهل الشام والعراق مع الجيوش الإسلامية، ولما خرج العرب من الشام التي هي أرض الخصب والرخاء وما استقروا بها.

3- الأسباب السياسية:

أرجع العديد من المستشرقين فتح الأندلس لأسباب سياسية كالضعف والانحطاط ضعف لدى مملكة القوط الغربيين في إسبانيا، فاستغله العرب ووجهوا إليها اهتمامهم¹.

1- فان فلوتن: المرجع السابق، ص 21.

2- Levi provençal Histoire de l'Espagne. Musulmane. Leiden.paris. 1950.T1. P2. -2

ويذكر المستشرق "رينهت دوزي" في كتابه المسلمون في الأندلس أن إسبانيا وقت تطلعت إليها أنظار المسلمين كانت شديدة الضعف مسيرة تماما لمن يغزوها ويرجع ذلك إلى ما كان عليه مجتمعنا من وضع مؤلم يتسم بالوهن الذي لم يكن جديدا عليها بل كان متأصلا فيها منذ وقت بعيد، سواء في عهد القوط أو الرومان وذلك لأن جرثومة الانحلال أخذت تنخر منذ زمن في جسم الدولة التي بلغت غاية قصوى من الضعف، حتى أصبح من اليسير سحق البلد في طرفة عين بجيش قوامه اثنا عشر ألفا رجل تساعد الخيانة².

ويرى "مونتجمري وات" أيضا أن الضعف في إسبانيا كان دافعا للفتح باستخدامه عبارة انحلال إسبانيا القوطية إذ يقول "كانت إسبانيا التي افتتحها المسلمون بهذه السهولة تعاني من ضعف داخلي خطير يبدو أنه من الضروري النظر في ظروف شبه جزيرة أيبيريا خلال السنوات الأولى من القرن الثامن لا من أجل فهم الفتح فحسب، بل أيضا من أجل تقدير دقيق بمجمل تطور إسبانيا الإسلامية الحضاري³. فلقد دخل القوط الغربيون إسبانيا، واحتلوها ومن ناحية ثانية كان نظام الملكية نفسه ضعيف جدا⁴، إذ كان من المفروض أن يختار النبلاء الملك من بين صفوفهم لذلك يمكن أن يعزى ضعف المملكة القوطية إلى الانقسام داخل طبقة النبلاء حول وراثة العرش.

وهذا ما يؤيده بروكلمان بقوله "كانت إسبانيا تعاني من الصراع الداخلي نتيجة الضعف السياسي والاجتماعي مما جعلها فريسة سهلة لأي فاتح يقبل عليها من الشمال إلى الجنوب، أما لوبون فيرى أن التوسع لم يكن وحده هو الذي حفز العرب لفتح إسبانية، وإنما دفعهم إلى ذلك رغبتهم في إلهاء البربر الذين كان لهم دور فعال في توطيد الحكم الإسلامي في الأندلس.

4- الأسباب الاجتماعية:

1- كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: منير البعلبكي ونبية أمين، فارس، دار العلم للملايين، ط5، 1968، ص 100.

2- ج س كولان: الأندلس تر إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 108.

3- دوزي رينهت: المسلمون في الأندلس، تر: حسن حبنشي، الهيئة المصرية للكتاب، ط، 1932، ج1، ص27، 43.

4- ابن خلدون عبد الرحمن: ديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، ص 174.

أرجع العديد من المستشرقين فتح الأندلس إلى أسباب اجتماعية تظهر في الانقسام الطبقي للمجتمع حيث يرى المستشرق "دوزي"¹ أن اليهود والرقيق والطبقة الوسطى المعوزة كانوا أعداء الداء لهذا المجتمع المتصدع، الذي كانت عوامل التخلل تنخر فيه من كل النواحي ومع ذلك فلم يكن لأصحاب الامتيازات قوة يدفعون بها الغزاة غير أولئك العبيد من النصارى واليهود²، لذلك كان لا بد لهذا المجتمع أن يسقط عند أول هجوم.

ويرجع المستشرق مونتجومري وات إلى أن الدافع وراء التوسع العربي هو السيطرة على المجتمع وإخضاعه للحكم الإسلامي، حيث يقول فقد أضحى الجهاد وغايته باعتبارهم أهل الذمة لا تحويل أهلها عن ديانتهم إلى الإسلام وإنما إخضاعهم للحكم الإسلامي وفرضت عليهم الجزية ومبالغ أخرى مقابل حمايتهم³.

وكذلك يصور لنا المستشرق "فلوتن"⁴ أن الفتح الإسلامي جاء على شكل احتلال إذ يقول "كان أهل الولايات المغلوبة يحرثون ويبدرون والمسلمون يحصدون ولا عمل لهم سوى الحرب وشن الغارات وتبين لنا هذه الكلمات بيانا يكاد يكون قاطعا حال السيادة الإسلامية في الأقاليم التي فتحها المسلمون، ويرى أيضا الاحتقار والمهانة التي كانت تسلط على الموالي حيث يقول "لا يخفى أن المسلمين من غير العرب قد ألحقوا منذ اعتناقهم الإسلام ببعض القبائل العربية على أن يكونوا موالي لتلك القبائل هذا إلى ما كان من احتقار العرب الذين كانوا لا يحترمون سوى مهنة الحرب واعتبار إياهم طائفة منحطة لا تكاد تختلف عن طبقة الرقيق ؛ فقد كان سقوط إسبانيا المسيحية سنة 711م على يد المسلمين ناتج عن مناخ الاضطراب السياسي والفساد الأخلاقي والتفكك الاجتماعي، الذي ميز حكم آخر ملوك القوط⁵.

1- رينهارت دوزي: دوزي مستشرق هولندي اشتهر بأبحاثه في تاريخ العرب في إسبانيا ومعجمه "تكملة المعاجم العربية ولد في ليدن أتقن اللغات الفرنسية والإنجليزية الألمانية، الإيطالية واكب على دراسة اللغة الألمانية في العصر الوسيط عين 1846 محافظا مساعدا للمخطوطات الشرقية وكلف بتصنيف فهرس لها ولها كتب منها تاريخ المسلمين في إسبانيا من فتح الأندلس حتى مجيء المرابطين عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط3، 1993، ص259.

2- دوزي المرجع السابق، ص 40

3- مونتجومري: المرجع السابق، ص15.

4- فان فلوتن المرجع السابق، ص21.

5- فان فلوتن، المرجع السابق، ص 37.

وتفنيدا للتصور السابق فقد كان كبار الفاتحين المسلمين منهم طارق بن زياد من البربر إذ أن أغلب جيشه الذي فتح الأندلس من البربر وبذلك فقد كان لهم دور عسكري وسياسي كبير، إذ شكلوا جزءا حقيقيا من الطبقة الحاكمة.

المبحث الثاني: قراءات حول روايات فتح الأندلس

أولاً: نقد وتقييم الباحثين العرب لكتابات المستشرقين

لا جدال فيه أن للاستشراق أثر كبير على العالم الإسلامي، والواقع الذي لا يمكن إنكاره هو أنه لا يكاد يجد المرء مجلة أو صحيفة أو كتاباً إلا وفيه إشارة إلى شيء عن الاستشراق أو يمت بصلة قريبة أو بعيدة له ؛ فقد كان له بصمة قوية في الفكر الإسلامي إيجاباً أو سلباً، ولهذا لا نستطيع تجاهله فهو يفرض نفسه علينا بإلحاح ويتطلب منا وقفة تأملية لبحثه ودراسة أبعاده وتأثيراته بالنسبة للإسلام والمسلمين، وهذا ما لاحظناه بعد دراستنا لكتابات المستشرقين حول فتح الأندلس، لذلك كان لا بد من إعطاء نظرة تقييمية لما كتبوه من خلال الإيجابيات والسلبيات التي ميزت كتاباتهم.

1- إيجابيات وسلبيات كتابات المستشرقين من خلال دراستهم لفتح الأندلس

أ- الإيجابيات:

لم تكن دراسات المستشرقين الألمان عن العرب والإسلام والحضارة العربية متصفة بروح عدائية، فلا استشراق ألماني لم يعرف مستشرقين جعلوا دينهم عداً العرب والإسلام وتعمدوا الدس والتشويه، بل على العكس رافقت دراساتهم روح إعجاب وتقدير وحب وإنصاف¹. وهذا ما تشيد به المستشرقة الألمانية المعاصرة زيغريد هونكة في كتابها "شمس العرب تسطع على الغرب حيث ترى أن حضارة العرب ازدهرت في إسبانية وبلغت أوجها، ولم يكن من المتوقع والمعقول أن لهذا الرقي في مثل تلك البلدان في المغرب حيث البربر، أما في إسبانية حيث القوط الغربيون المتأخرون فلم يكن ثمة ما يبشر بأي خير وبرغم هذا؛ فقد استطاع العرب أن يقدموا للبشرية أكبر دليل على أنهم أصحاب حضارة وأهل فكر.

ففي الأندلس لم يجد العرب شيئاً بالمرّة يتعلمونه ويهضمونه ليترجموا أو يقلدوه ثم يقدمونه²، فالحضارة الأندلسية التي كانت أجمل وأعظم من أن تقارن بغيرها لم تكن قائمة على أساس فارسي أو إغريقي بل كانت عربية صرفه أكثر من الحضارة الإسلامية في أي مكان آخر.

ويقيدنا حمدي زقزوق محمود في إظهار أهمية الاستشراق في شكل آخر فيقول "وقد يتمثل الجانب الإيجابي للاستشراق في صورة الهجوم علينا وعلى أجدادنا وليس في صورة المدح والثناء وإن كان

1- صلاح الدين المنجد: المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط1، 1978، ج1، ص8.

2- زيغريد هونكة المرجع السابق، ص474.

هذا الأمر يبدو غريبا ولكن إذا عرف السبب بطل العجب فكلنا يعلم أن عددا من المستشرقين قد مدحوا حضارتنا ومجدو تراثنا منهم زغريد هونكة وجوستاف لوبون وغيرهم.

بينما ذهب أغلبهم إلى موقف عدائي مع العرب المسلمين مثل كارل بروكلمان ورينهت دوزي... ولكن نحن كمسلمين نجد أن الإشادة والتقدير من طرف المستشرقين؛ قد يكون له جانب تحذيري علينا فيجعلنا نغض عيوننا مستسلمين لتلك الأحلام، ونركن إلى ذلك ونعيش على مجد أمجادنا وآبائنا¹.

ويرى محمد خليفة حسن أحمد أن الاستشراق ساعد في تعريف الغرب بالإسلام وحضارته وبالتراث العلمي للمسلمين من خلال ترجمة مئات الأعمال الإسلامية المهمة إلى اللغات الأوروبية خاصة وأن المسلمين لم يهتموا بترجمة تراثهم وتعريف الآخرين به، وتركوا مهمة الترجمة للمستشرقين، الذين اهتموا بترجمة القرآن الكريم وكان لذلك آثار بعيدة المدى بالغة الدقة تظهر في أقوام وشعوب أطلعوا على هذه الترجمات واستنبطوا منها ما شاءوا من نتائج دينية وعلمية، فمن خلال هذه الترجمات أطلعوا مبادئ الإسلام وأحكامه وحاول العديد منهم تكريس حياته على دراسة الإسلام وتراثه وحضارته وتاريخه².

واهتم الاستشراق بدراسة واقع العالم الإسلامي، مما شجع المسلمين على دراسة أوضاعهم بأنفسهم، والاهتمام بواقعهم وحل المشاكل المختلفة التي تواجههم؛ فقد وجه الاستشراق أنصار المسلمين إلى مواطن الضعف في حياتهم ومجتمعاتهم من خلال الدراسات الاستشراقية التحليلية للمجتمعات الإسلامية.

وهذا ما أشاد به علي توفيق الحمد حيث يقول "ويجب أن نعترف بالجهود الجبارة والموضوعية التي بذلها المستشرقون نحو تراثنا العربي الإسلامي واللغوي حفظا وفهرسة وتحقيقا ونشرا وتأليفا، مهما كانت دوافع المستشرق الهولندي دوزي وأمثاله مريبة تعود إلى تعصب ديني أو دعوة إلى التبشير أو وضع جهودهم في خدمة الاستعمار والتوسع، حتى في حالة التأليف في اللغة العربية ودراساتها؛ فقد أفادونا في علومهم وبحوثهم في ميادين المعرفة لا سيما تلك المتصلة بتراثنا العربي عامة واللغوي خاصة.

1- محمد خليفة حسن أحمد : آثار الفكر الاستشراقي في المجتمعات الإسلامية عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 1997 ص 137.

2- سامي سالم الحاج: نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ج1، ص 266.

ومما لا شك فيه أن المستشرقين ساهموا في تقويم منهج نقدي للبحث في التراث الإسلامي نتج عنه إيقاظ الوعي المنهجي لدى المسلمين الذين دفعهم إلى النظر في الأصول المنهجية والمبادئ البحثية في الكتابات الإسلامية الأولى من أجل تأصيل منهج إسلامي ينافس المنهج الاستشراقي.

فجهود المستشرقين ساعدت على تحقيق التراث الإسلامي والكشف عن الكثير من المخطوطات الإسلامية وتحقيقها ونشرها وترجمة بعضها وعمل الفهارس لها، وهي أعمال ذات قيمة علمية كبيرة، وهذا ما نجده في المصدر الإسلامي صفة جزيرة الأندلس منتخبة من الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري الذي عني بنشره وتصحيحه وتطبيق حواشه وبالتنقيح لطبعة جديدة المستشرق الفرنسي ليفي بروفنسال الذي اشتهر بكتاب: تاريخ إسبانيا الإسلامية إضافة إلى التحقيق والتعليق لكتاب أعمال الأعلام لصاحبه لسان الدين ابن الخطيب السلماني، تاريخ إسبانيا المسيحية¹.

ويرى الباحث طارق سري أن حركة الاستشراق أثرت في خلق علماء المسلمين مهتمين بالبحث والتنقيب في أوقات كثيرة انتشر فيها الجمود الفكري بين علماء المسلمين، ودفعت طريقة المستشرقين في البحث والتنقيب بعض الباحثين المسلمين إلى الاهتمام بالبحث وتوثيق المعلومات وجاء ذلك نتيجة الحقائق المزورة التي ادعاها المستشرقون، فكان لزاما على الباحثين المسلمين الذين يريدون إظهار الحقيقة أن يكشفوا عن الحقائق الأصلية بالبحث وتوثيق ما أظهره من حقائق².

وهذا ما أظهره الباحث عبد الكريم الباز في بحثه افتراءات فليب" حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، وكذلك جميل عبد الله محمد المصري في مؤلفه دعاوى الفتوحات الإسلامية ودعاوى المستشرقين.

ومن الإنصاف لهذه الحركة الفكرية أن يعترف لها بالخدمات التي قدمتها للغة العربية والفكر الإسلامي لا سيما في مجال لفت الانتباه إلى إيجابيات الفكر وتراثه ونشر نفائس الكتب وفتح باب الشك والريبة للتحليل والتأمل وإعطاء قيمة كبيرة لهذا التراث ودراسة قضاياها، وهذا ما نلمسه في الآثار العلمية³ التي خلفها المستشرق ليفي بروفنسال منها:

1- علي توفيق الحمد: نحن والمستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق الهولندي دوزي في المعجمة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، ط1، 2001، مج15، ص 11.

2- طارق سري: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي مكتبة الناظرة الجيزة، ط1، 2006، ص57.

3- محمد بن معمر: منهج ليفي بروفنسال الاستشراقي في تحقيق تراث الغرب الإسلامي، ص3.

- جمهرة أنساب العرب لابن الحزم الأندلسي، القاهرة.
 - مذكرات عبد الله آخر ملوك بني زيري في غرناطة بمدريد في مجلدين سنة 1936.
 - صلة الصلة لابن زبير الرباط 1936.
 - وثائق غير منشورة عن تاريخ الموحدين، باريس 1928.
 - سبع وثلاثون رسالة رسمية للموحدين، الرباط 1941.
 - البيان المغرب لابن عذارى (ج1، ج2، ج3).
- وقد كان للمستشرقين دور بارز في إذكاء روح الترجمة وإقامة العلاقات بين الشرق والغرب من خلال الطرق التجارية عبر صقلية والفتح الإسلامي للأندلس¹، وعموما فقد ساهم الاستشراق بعمل ضخم في تحقيق ونشر العديد من التأليف العربية.
- يقول عبد العظيم الديب في هذا الصدد " كثيرا ما يمتن علينا هؤلاء المستشرقون وتلاميذهم بأنهم نشروا لنا أمهات المراجع والكتب والأصول، فيذكر لنا نجيب العقيلي ومن لف لفه "أنهم أخرجوا لنا ألوف الذخائر مرتبة ومصنفة مفهرسة تعتمد عليها جامعتنا، ويرجع إليها علماؤنا مثل: السيرة النبوية لابن هشام وفتوح البلدان للبلاذري والطبقات الكبرى للواقدي ومعجم البلدان للحموي².
- ب- السلبات:**

لا شك أن الاستشراق كان ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار والعمالة الثقافية ويغذي عملية الصراع الفكري ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية على الشرق الإسلامي وإخضاع شعوبه. فالاستشراق هو المنجم والمطبخ الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين وأدوات الغزو الفكري بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي لتحطيم عقيدته³، إضافة إلى إخضاع النصوص الإسلامية للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم وآرائهم الخاصة، فيفسرون الحوادث ويناقشون النصوص من وجهة نظرهم.

1- عبد الرؤوف خريوش: دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، ص3.

2- عبد العظيم الديب: المستشرقون والتراث، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط2، 1992، ص 23.

3- أحمد عبد الرحيم السايح: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الاسلامي، الدار المصرية، ط1، 1996م، ص 57.

هذا ما يذهب إليه المستشرقون المتحاملون على الإسلام ويدعون أنه انتشر بالقوة، ويفسرون أن الفتح الإسلامي للأندلس كان من أجل دافع مادي لا دافع ديني وبصورة أن الفتح هو احتلال بالسيف والوسيلة السهلة والشريفة هي الغزوات وشن الغارات¹.

كما يذكر أنتوني نتنج بأن الفتح الإسلامي للأندلس كان من أجل الحصول على وسائل العيش والثروات والترف ويقول في هذا الصدد "اختص العرب بالمقاطعات النضرة والتربة الحمراء بالأندلس بأثمارها الدائمة الجريان لري المحاصيل وبما يحيط بها من تلال مغطاة بالغابات لوقاية التربة من التفتت². وهكذا نجد أن هناك إشارة واضحة إلى سلخ الإسلام من طابع الهداية ونشر النور الإلهي والحقيقة أن المسلمين بفعل الإسلام وهديه يمثلون المعجزة، ويصورون التحدي سواء في عمليات الفتح أو في انتشار الإسلام في تلك البلاد، وهكذا غدت الأندلس دار جهاد³.

فالاستشراق عامل مع الكنيسة أو عامل مع الاستعمار، لا يستطيع أن يخلص إلى الحق وإنما هو يؤدي دوره في إثارة الشبهات وتقديم الزاد الكافي في دراسات التبشير، ولا يزال يشكل الجذور الحقيقية التي تقدم المدد للتنصير والاستعمار والعمالة الثقافية ويغذي عملية الصراع الفكري ويشكل المناخ المناسب لفرض السيطرة الاستعمارية.

وردا على ذلك يقيدنا الباحث "عبد العظيم إبراهيم" محمد" بقوله "ولأن الفتوحات الإسلامية كانت لتحقيق منافع الشعوب ماديا وروحيا إذ كانت بعض الشعوب تستغيث بمراكب الفتح كما حدث في إسبانيا وبعضها ينضم مقاتلا مع جيش المسلمين ضد النظم الجائرة التي كانوا يخضعون لها وأين الاستعمار المادي في واقع فتح الأندلس يا ترى؟ وهذه الصفحات الناصعة البيضاء تدحض دعوى المستشرقين وترد كيدهم إلى نحورهم⁴.

كما نجد أن من خطط المستشرقين أن يهملوا ذكر ما هو مدعاة للفخر في تاريخنا، وأن يضحكوا ويختلفوا أمورا لا وجود لها لتشويه التاريخ الإسلامي، فمثلا رفعوا من شأن حادثة حسد موسى بن نصير لطارق بن زياد على فتح الأندلس، ولكنهم أهملوا أمورا أخرى حقيقية قد تفسد عليهم ما اختلقوه.

1- فان فلوتن، المرجع السابق، ص 15.

2- أنتوني نتنج، المرجع السابق، ص 144.

3- عبد الرحمان علي الحجي: المرجع السابق، ص 55.

4- أحمد عبد الرحيم السايح: المرجع السابق، ص 2.

ويظهر ذلك الإهمال جلياً وعن قصد وتخطيط في عدد من مؤلفاتهم فمثلاً كتاب الدكتور فليب حتى "تاريخ العرب" والمكون من جزئين نجد أن صاحبه قد أخطأ في عنوانه، إذ لم يكن تاريخ العرب وحدهم، وإنما كان تاريخاً للإسلام ودعوته وشعبه وإنتاجه الحضاري، فكان يجب أن يكون تاريخ الإسلام أو المسلمين¹.

لقد قام المستشرقون باجتزاء النصوص التاريخية وتسخيرها لخدمة أهوائهم وأغراضهم الشخصية كما قسموا التاريخ الإسلامي إلى مقاطع وفرقوا وصاله إلى أشلاء، وربما كانت هذه الأشلاء لا تزال تقطر منها دماء تقطيعهم هذا الكائن نعى التاريخ الإسلامي، فترانا في كثير من الأحيان لا ندرسه على أنه حلقة متصلة وسلسلة متتالية الأحداث والأجزاء².

فهذا أحد المستشرقين ويبدو أنه قسيس بلباس مدني نعتبره من المنصفين الذين أدركوا أبعاد الإسلام، ودافعوا عن قضاياه ذلك هو البروفسور الإنجليزي مونتجومري وات الذي يدعي أن الفتح الإسلامي لإسبانيا كان اجتياحاً وسيطرة كما أن الجهاد لم يكن ظاهرة إسلامية محضة، بل كان أداة سياسية إلى حد ما في نظره أولئك هم المستشرقون وتلاميذهم، الذين بدوا يقولون بكل قوة إن لغة القرآن العربية الفصحى إنما هي لا تساير حاجيات العصر³.

بالإضافة إلى ما ذكر سابقاً نجد أن المستشرقين قد فسروا أحداث التاريخ الإسلامي تفسيراً مادياً، فهو ذلك التفسير المتهافت الجاهل الذي نبع من فلسفة مادية ضيقة ومن الأمثلة الحية للتفسير المادي لهؤلاء المستشرقين مثل فلوتن الذي يرى أن العرب ورؤساؤهم كان هدفهم الأول مصالحهم الشخصية والمال والثراء قبل كل شيء وأما نشر الإسلام فكان أمراً ثانوياً بالنسبة لهم، إلا أننا نجد الباحث الحجى يفند مزاعمه بقوله "إن النفع المادي مهما كان عالياً لا يمكن أن يساوي حياة الإنسان وأي نفع مادي والموت محقق⁴.

1- فان فلوتن، المرجع السابق، ص 21.

2- عبد الرحمان علي الحجى: نظرات في التاريخ الإسلامي، ص 55.

3- مونتجومري وات: تاريخ إسبانيا الإسلامية، ص 22.

4- أبي الحسن علي الحسيني الندوي: مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، ط 1، 2002، ص 21.

لقد تعددت أساليب المستشرقين واتخذ قسم منه لنفسه في البحوث منهجا خاصا، وهو عندهم المنهج العلمي المفضل، وهذا المنهج هو أن يأتي بأوثق الأخبار وأصدق الأنباء فيقبلها وكلما كان الخبر وثق كلما بدت الرغبة قوية جامعة في البراعة من ذلك الذي يتبع هذا المنهج إنه تماما منهج العكس فهل يعقل للباحث ألا يشيد ببراعة قادة الفتح في الأندلس مثل طارق بن زياد.

إذ نجد أن المستشرق الهولندي رينهت دوزي كان قاسيا في حقه بالنصر الذي حققه ويرجع ذلك إلى الصدفة فيقول وهكذا شاءت الصدفة الطيبة أن تؤدي الغزوة البسيطة إلى الفتح، كما يرجع أن الفتح الإسلامي لإسبانيا لم يكن نتيجة شجاعة وبراعة المسلمين في القتال وإنما أوضاع إسبانيا وقت تطلعت إليها أنظار المسلمين كانت شديدة الضعف مسيرة تماما على من يغزوها.

ومن السلبيات التي أثرت تأثيرا مباشرا على المجتمع الإسلامي، هو خلق جيل من الباحثين موالين لهم ينشرون الأخلاق الفاسدة والعقائد المزيفة، ويدافعون عنها بحجة أنهم من بني جلدتنا ويحاولون التجديد.

ويتضح لنا مما سبق أن المستشرقين استخدموا كل الوسائل لتشويه صورة التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ الأندلس خاصة وهذا ما هو إلا محاولات لدحض الحقائق وإخفائها والافتراء على أحداثه وتقديم تفسيرات حسب أهوائهم ومصالحهم الشخصية ولا يعني أن نهمل ما كتبه المستشرقون وغيرهم، بل علينا أن ننتفع بالإنتاج المنصف المفيد وحتى غير المنصف ممكن أن نجني منه نفعاً؛ فقد يدفعنا إلى البحث والتنقيب لمعرفة إنتاجنا؛ فقد آن الأوان أن نكتب تاريخنا وحضارتنا بأيدينا ونقدمه للمستشرقين وغيرهم لرؤية افتراءاتهم عليه.

الفصل الثالث:

مراحل الفتح الإسلامي للأندلس

المبحث الأول: اتصال يوليان بقيادة الفتح

المبحث الثاني: الحملة الاستطلاعية (حملة طريف بن مالك)

الفصل الثالث: مراحل فتح الأندلس

المبحث الأول: اتصال يوليان بقيادة الفتح

تعتبر الفتوحات الإسلامية للأندلس، التي بدأت في القرن الثامن الميلادي، من أهم الأحداث التاريخية التي غيرت مجرى التاريخ في شبه الجزيرة الإيبيرية.¹ كانت هذه الفتوحات بمثابة نقطة تحول حاسمة في تاريخ المنطقة، حيث أحدثت تغييرات جذرية على المستويات السياسية والاجتماعية والثقافية.² في هذا المبحث، سنتناول الحملات الاستطلاعية التي سبقت الفتح الإسلامي الكبير للأندلس. كانت هذه الحملات بمثابة خطوات استكشافية، حيث قام المسلمون بإرسال قوات صغيرة للتعرف على المنطقة وتقييم قوتها العسكرية وإمكاناتها الاقتصادية.

سنستعرض في هذا المبحث تفاصيل هذه الحملات الاستطلاعية، بما في ذلك أسبابها ودوافعها، وكذلك التحديات التي واجهتها والنتائج التي حققتها. سنركز أيضاً على دور القادة والشخصيات البارزة التي قادت هذه الحملات، وكيف أسهمت جهودهم في تمهيد الطريق للفتح الإسلامي الكبير لاحقاً. من خلال دراسة هذه الحملات الاستطلاعية، سنكتسب فهماً أعمق للظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية التي أحاطت بهذه الفترة الحاسمة في تاريخ الأندلس، والتي ستساعدنا على تقدير الأهمية الكبيرة للفتح الإسلامي الكبير الذي سيتم تناوله في المباحث اللاحقة.

أولاً- فكرة الفتح ورحلة يوليان الى الأندلس

1- فكرة الفتح:

فكرة الفتح الإسلامي للأندلس تعود إلى القرن الثامن الميلادي، حيث قاد يوليان بن رومانو، الحاكم الروماني في شمال إفريقيا، حملة عسكرية إلى الأندلس في عام 711 ميلادي.³ وقد تم توجيه هذه الحملة بناءً على خلاف حدث بين يوليان والملك القوطي لذريف، حيث اعتدى لذريف على ابنة يوليان واغتصبها. وبالتالي، قرر يوليان الانتقام والهجوم على الأندلس.⁴ حسب ما جاء في بعض الروايات

1د. عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، دار القلم، دمشق، الطبعة الرابعة، 1415هـ 1994م، ص 43، 44.

2: أحمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والأندلسي دار النهضة العربية، بيروت، ط 1972، ص 265.

3ابن عبد الحكم: فتوح أفريقية والأندلس، تح: عبد الله انيس الطباع دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص 96.

4أحمد مختار العبادي: التاريخ العباسي والأندلسي مرجع سابق، ص 275.

ويذكر الذهبي أنه في سنة 89 هـ: جهز موسى بن نصير ولده عبد الله، فافتتح جزيرتي مورقة ومنورقة، أما الاتصال بئليان حاكم مدينة سبتة أو غيره من الإسبان فإنها جاءت موالية على ما يبدو وفي الوقت الذي كان موسى بن نصير يفكر في تنفيذ فكرة الفتح¹، ولكن كيف تم الاتصال بالجانب الإسباني (بئليان وأنصار الملك المخلوع وغيرهم)

اختلفت الأقوال فيما إذا تم الأمر بالمراسلة أو باللقاء الشخصي وأين؟ إذا كان هذا الاتصال أصلاً قد تم وبهذا المستوى على كل حال؛ فإن اتصالات الجانب الإسباني بموسى ومساعداتهم² أثناء عمليات الفتح. ربما كانت عاملاً مساعداً سهلاً سير الفتح أو عَجَل بهلكن المبادأة ومرّد العمليات وإنجازها كانت من الجانب الإسلامي الذي اندفع مع الفتح بقوة فائقة معتمداً على الله في تحقيق ما يصبو إليه من هداية الناس.³

2- رحلة يولييان إلى إسبانيا:

يولييان حاكم سبتة وصديق أبناء الملك غيطشة المتوفى وصديق أبناء الملك والذي سعى لإرجاع حكم الأبناء من الحاكم لذريق بن تيودوفريدو الذي كان دوق قرطبة. توجه يولييان شمالاً وواجه ملك القوط لذريق في معركة وادي لكه، حيث حقق فوزاً ساحقاً وهزم القوط.⁴

بعد الفوز في المعركة، استمرت الحملة العسكرية الإسلامية في الأندلس حتى عام 726 ميلادي، حيث تم الاستيلاء على مناطق واسعة من إسبانيا والبرتغال وجنوب فرنسا الحالية.⁵ حين مات غطشه وخلفه في ملك الأندلس الملك لذريق، قام باغتصاب ابنة يولييان التي كان قد أرسلها إلى القصر لتتعلم وتتأدب بأدب الملوك- كما تقول بعض الروايات-، فأقسم يولييان على أن يزيل ملك لذريق، فلم يجد غير التحالف مع المسلمين سبيلاً¹

1 عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق-بيروت، 1981

2 أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والأندلسي، مرجع سابق، ص 267، 268.

3 المقري، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب، تح: الدكتور إحسان عباس، بيروت، 1388 هـ - 1968 م، ج 6، ص 82، 83.

5 ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر: تاريخ افتتاح الأندلس دار الكتاب المصري، القاهرة دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص 3.

في هذا السياق كان حاكم مدينة سبتة يوليان، يحث موسى بن نصير على عبور البحر لغزو الأندلس، مقدما له إغراءات كبيرة بما سيجده من غنائم، ومقدما خدماته كدليل يعرف شبه الجزيرة الإيبيرية جيدا.

طارق بن زياد وموسى بن نصير يفتحان أرض مملكة القوط (الأندلس) بحسّ العسكري وبتوجيه من الخليفة الوليد بن عبد الملك في بعض الروايات؛ احتاط موسى بن نصير من الأمر، وطلب اختبار أرض المعركة الموعودة من خلال شن غارات عبر مجموعات صغيرة من المقاتلين، حتى يستكشف المنطقة، ومن أجل ذلك جهز موسى حملة صغيرة، ووجهها لعبور البحر المتوسط من أقرب نقطة إليها، أي من مدينة سبتة، وجعل على رأسهم قائدا أمازيغيا يدعى طريف بن مالك.²

قدم يوليان أربع سفن لنقل الجنود المسلمين، فعبروا البحر ونزلوا بجزيرة تحمل اسم طريف إلى اليوم، نسبة إلى القائد الأمازيغي، وكان ذلك في رمضان 91 هـ، الموافق يوليو عام 710 م، وقد عبر هذا الجيش من سبتة ونزل في جزيرة بالدوما التي سُميت فيما بعد باسم جزيرة طريف، وكانت الغاية من هذه الحملة استطلاع وتتبع أخبار العدو ومعرفة طبيعة البلاد والتعرّف على مواقعها، فعادت هذه الحملة وهي تحمل أخبار مفرحة ومشجعة لعملية فتح الأندلس³

عنصر يوليان هذا هو الذي يسمح بتفسير قصة إحراق السفن التي تمثل ذروة سنام القصص التاريخية لعملية فتح الأندلس. فبعد تسهيله الحملة الإسلامية الأولى على الأندلس، بعث يوليان إلى طارق بن زياد يعده بتسهيل نقل جيشه، وتقول بعض الروايات إنه قدم إحدى بناته على سبيل الضمان حيث استبقاها طارق كرهينة، فراح يوليان يبعث سفنه إلى ضفة سبتة لتحمل جنود طارق بن زياد على دفعات نحو الضفة الشمالية، حتى كان طارق بن زياد في الدفعة الأخيرة. كانت حركة السفن تبدو عادية باعتبارها معتادة على أنشطة التجارة في هذا المضيق البحري. وهنا يتضح لماذا أحرق طارق بن زياد

710–97 (London: Blackwell , The Arab Conquest of Spain, Roger Collins (1989) Publishing) . 26–27.

2 طقّوش، مُحمّد سُهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس، ط 3 بيروت - لبنان، دار النفائس، ص 25.

3 ابن عذاري، أبو العبّاس أحمد بن مُحمّد المرّاكشي، تح: بشّار عوّاد معروف ومحمود بشّار عواد (1434هـ - 2013م)، البيان المُعَرَّب في أخبار الأندلس والمغرب، ط3، تُؤنّس العاصمة - تُؤنّس، دار الغرب الإسلامي، ج2، ص7.

السفن بعد عبور جيشه نحو الأندلس، وذلك لدفع جنوده إلى الاستمات في القتال وعدم التراجع لاستحالة العودة.¹

ثانياً- لقاء طارق بن زياد ببوليان:

1- قادة فتح المغرب الإسلامي:

أكمل عمرو بن العاص رضي الله عنه بمعاونة عقبة بن نافع الفهري فتح ليبيا كلها سنة 22هـ (642م)² وكتب عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إنّا قد بلغنا طرابلس، وبينها إفريقية (تونس) تسعة أيام، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها، فعل"، فكتب إليه عمر ينهيه ويأمره بالوقوف عند هذا الحد، فعاد إلى مصر مكرهاً بعد أن استخلف على ليبيا عقبة بن نافع الفهري، الذي صار إليه بعد ذلك فتح المغرب³

وتولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري مصر لعمرو بن العاص، ففتح إفريقية. وخلفه معاوية بن حديج السكوني، فأكمل فتح إفريقية. وخلفه عقبة بن نافع، ففتح حتى المحيط الأطلسي، ولكن فتحه القريب من المحيط لم يكن فتحاً مستداماً، واستشهد عقبة في ميادين الفتح. وخلف أبو المهاجر دينار عقبة بن نافع، ففتح أبو المهاجر المغرب الأوسط (الجزائر). وخلف زهير بن قيس البلوي أبا المهاجر، فعزز الفتح في إفريقية، وانتصر على البربر انتصاراً سَوْقِيّاً، ولكنه استشهد في ميادين الفتح.

وخلف حسان بن النعمان الغساني زهيراً ففتح قَرطاجنة وفاس وانتصر على الروم في معركة سَوْقِيّة حاسمة. وجاء موسى بن نصير خلفاً لحسان، فأكمل فتح المغرب الأقصى، وفتح طنجة عَنوة، وفتح سبتة صلحاً.

وكان فتح طنجة سنة 89هـ (709م)، وفي هذه السنة مات غيطشة، وتولى مكانه لذريق على الأندلس، وكان على سبتة يُليان الذي قاوم بنجاح موسى بن نصير وردّه عن فتح سبتة بمعاونة غيطشة الذي كان يمدّه بكل ما يحتاج إليه للثبات أمام المسلمين الفاتحين. فلما مات غيطشة، لم تصل إلى يليان

1 مؤنس، حسين: فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية، ط4، القاهرة - مصر، دار الرشاد، ص 130.

2 عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي، ص ص 67، 68.

3 نفسه، ص ص 47-49.

من خلفه الإمدادات، فلم يبق أمامه من خيار غير الاستسلام للمسلمين الفاتحين، فسلم سبته صلحاً لطارق بن زياد وطنجة لموسى بن نصير.

2- العلاقة بين المغرب والأندلس:

وكان فتح الأندلس، نتيجة طبيعية لتمام فتح المغرب، لأن الأندلس هو الجناح الغربي للمغرب، ولأن الأندلس كان المجال الحيوي للفتح الإسلامي بعد إنجاز فتح المغرب الإفريقي، واستقرار الفتح فيه بانتشار العرب والإسلام في ربوعه، وبوجود القوة الضاربة بيد العرب المسلمين والبربر المسلمين الفاتحين على البر المغربي.

وبين الأندلس والبر المغربي الإفريقي -الذي فتحه المسلمون- بحر المجر، عرضه ما بين طنجة والبر الأندلسي ثمانية عشر ميلاً، وهو عرضه أيضاً بين جزيرة طريف على البر الأندلسي وسبته على البر المغربي الإفريقي، ويعرف هذا الموضع بالزقاق، وبحر المجر هو الذي يصل البحر الأبيض المتوسط بالمحيط الأطلسي¹.

وهذا المجر هو الذي يفصل بين المسلمين الفاتحين من جهة، وأهل الأندلس من جهة ثانية. ولكي يحمي المسلمون ما فتحوه في المغرب من أهل الأندلس والقوط الذين يحكمونها، كان لابد لهم من فتح الأندلس، لحماية البر الإفريقي في شمالي إفريقية، فقد رأينا طنجة وسبته قبل فتحهما تحت حكم الأندلس، فقد كان يليان عامل لذريق على سبته².

ثم ساروا إلى مدائن على شط البحر، فيها عمال لصاحب الأندلس، قد غلبوا عليها، وعلى ما حولها، ورأس تلك المدائن سبته، وعليها علق يسمى: يليان، قاتله موسى، فألفاه في نجدة وقوة وعدة فلم يُطْفَئ، فرجع إلى مدينة طنجة، فأقام بمن معه، وأخذ بالغارات على ما حولهم والتضييق عليهم، والسفن تختلف إليهم بالميرة والإمداد من الأندلس من قبل ملكها غيطشة، فهم يذبّون عن حريمهم ذباً شديداً، ويحمون بلادهم حماية تامة، إلى أن هلك غيطشة، فاضطرب حبل أهل الأندلس³.

هكذا كانت العلاقة وثيقة للغاية بين ولاية سبته وطنجة وغيرها مع مملكة القوط في الأندلس، وكان التعاون بين الطرفين وثيقاً، ومنذ أقدم العصور، إذا كان الحكم في الأندلس قوياً، سيطر على المدن

1 ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج 1، ص 279.

2 ابن عذاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 2، ص 6.

3 المقرئ: مصدر سابق، ج 1، ص 24.

الإفريقية المواجهة لساحل الأندلس، وإذا كان الحكم فيها ضعيفاً سيطر البر الإفريقي على الأندلس أو على جزء منها، والهدف هو حماية الأندلس بالسيطرة على مدن الساحل الإفريقي، لتكون الخط الدفاعي الأول عن البر الأندلسي، وحماية البر الإفريقي من حكام الأندلس، بفتح الأندلس، كما فعل المسلمون الفاتحون، فلا بد من أن يكون أحد الطرفين مسيطراً على الطرف الثاني.

3- ضرورة فتح الأندلس:

إن الهدف من فتح الأندلس هو ترصين الفتح الإسلامي في شمالي إفريقية بعمامة وفي ولايتي طنجة وسبتة بخاصة. أما الهدف الثاني من الفتح فهو نشر الإسلام في ربوعها وإعلاء كلمة الله فيها. إن الفاتحين حملوا إلى الناس الإسلام بالفتح، ولم يحملوا الناس بالفتح على الإسلام.

وقد كان الروم قد اتخذوا من جزيرة صقلية قاعدة أمامية متقدمة لهم، ينطلقون منها للتعرض بالساحل الإفريقي المقابل لها، فأمر موسى بن نصير بالتأهب لركوب البحر، وأعلمهم أنه راكب بنفسه، فرغب الناس وتسارعوا، فلم يبق شريف ممن كان معه إلا وقد ركب الفلك وعقد موسى لواء هذه الغزوة لابنه عبد الله بن موسى، وأمره على رجالها، وولاه عليهم، ثم أمره أن يتوجه إلى صقلية. وإنما أراد موسى بما أراد من سيره في هذه الحملة أن يركب أهل الجلد والحماية والنكاية والشرف، فسميت هذه الغزوة غزوة الأشراف¹ وكان ذلك سنة 85هـ (705م). وفي سنة 87هـ (707م)، أغزى موسى ابنه عبد الله جزيرة سَرْدِينِيَا فغنم وعاد سالماً غانماً. وكانت هاتان الغزوتان لحماية الساحل الإفريقي من غزو الروم من قواعدهم البحرية في هاتين الجزيرتين.

وبعد أن أنجز موسى بن نصير استعادة فتح المغرب الأوسط، وأكمل فتح المغرب الأقصى، وفتح طنجة، أصبحت السواحل المغربية المواجهة لبعض جزر البحر الأبيض المتوسط وللأندلس، معرضة لهجمات الروم، لغرض استعادة تلك المناطق المغربية الغنية إلى سيطرتهم من جديد، ومعرضة لهجمات من القوط الذين يحكمون الأندلس، لغرض إبعاد المسلمين الفاتحين عن بلادهم بطردهم من السواحل المغربية القريبة منهم، وحماية الأندلس من غزو المسلمين المتوقع لها، ومحاولة فتحها.

وكان من جزر البحر التي اتخذها الروم والقوط قواعد لهم متقدمة: جزيرتا مَيُورُوقَة ومُنُورُوقَة، وهما جزيرتان في البحر الأبيض المتوسط، بين صقلية وشبه جزيرة الأندلس وفي سنة 89هـ (709م) جهز

¹محمود شيت الخطاب: قادة فتح الأندلس، مؤسسة علوم قرآن، بيروت، منار للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2003م، ص154.

موسى ابنه عبد الله فافتتح هاتين الجزيرتين¹ وغنم ما لا يحصى، وعاد سالماً² والهدف الأول والأخير، من تعرض المسلمين بهذه الجزر، هو حماية الساحل الإفريقي من هجمات الروم والقوط، والهجوم أنجع وسائل الدفاع كما يقولون.

وعندما ضعف المسلمون في شمال إفريقية، أصبحت تلك الجزر قواعد لأساطيل أعدائهم وحشود قواتهم للهجوم على المسلمين، وأسر نسائهم ورجالهم، وأخذهم إلى القسطنطينية وغيرها. إن فتح الأندلس، هو الوسيلة الوحيدة لحماية البر الإفريقي المقابل لها، والذي كان المسلمون قد فتحوه، وصارعوا الأهوال من سنة 22هـ إلى سنة 90هـ، أي مدة ثمان وستين سنة، بذلوا خلالها كثيراً من الجهد والنفقات والشهداء، على رأسهم قائدان: عقبة بن نافع، وزهير بن قيس. هكذا فتح المسلمون الفاتحون ما فتحوه، وهكذا حافظوا على ما فتحوه: بالتعرض والجهاد، وافتح جديد يرصن الفتح القديم.

ثالثاً: فتح طريف بن مالك

أرسل موسى في شهر رمضان من سنة 91هـ _710م سرية استطلاعية إلى جنوبي الأندلس بقيادة طريف بن مالك ففتح جزيرة طريف والجزيرة الخضراء، وعاد مع رجاله في رمضان أيضاً سالماً غانماً³

1- فتح طارق بن زياد:

نزل طارق بن زياد قواته في منطقة جبل طارق بوجبتين، فكون المسلمون في تلك المنطقة رأس جسر لقوات المسلمين. وأرسل طارق بن زياد أحد قادته وهو: عبد الرحمن بن أبي عامر المعافري ففتح مدينة قرطاجنة الجزيرة، ومدينة الجزيرة الخضراء⁴.

وانتصر طارق على جيش لذريق في معركة وادي لكة الحاسمة، وفتح طارق بعد هذه المعركة شذونة والمدور وقرمونة وإشبيلية وإستجة، وأرسل مغيثاً الرومي ففتح قرطبة، وأرسل سرايا ففتحت مالقة وإلييرة وغرناطة وكورة تدمير وأوزيولة ومرسية، ثم قصد هو طليطلة ففتحها.⁵

2- الفتح المشترك بين موسى وطارق:

1 ابن خلدون: مصدر سابق، ص 254.

2 عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ص 59، وحسين مؤنس، فجر الأندلس ص 67.

3 المقري: نفع الطيب ج 1 ص 261.

4 جوزيف رينو: الفتوحات الإسلامية، ص 43.

5 الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 779.

عبر موسى بن نصير إلى الأندلس في شهر رمضان من سنة 93هـ (حزيران - تموز = يونيو - يوليو 712م). ففتح موسى بن نصير قبل لقائه بطارق شدونة وقرمونة ورعواق وإشبيلية وماردة ولقنت وإستجة. ومن الواضح أن هذه المدن كان قد فتحها لأول مرة طارق بن زياد، فيبدو أنها قد انتقضت فأعاد موسى فتحها من جديد.¹

وبعد لقاء موسى بطارق، فتحا معاً بالتعاون بينهما: سرقسطة ووشتة ولاردة وطرمونة وبرشلونة وجليقية وقشتالة القديمة.

وانقسم جيش المسلمين إلى قسمين: قسم بقيادة موسى، وقسم بقيادة طارق، ففتح موسى وحده: بلد الوليد وقلعة لك وخیخون حتى وصل إلى ساحل المحيط الأطلسي، وفتح طارق أماية وأشرقة وليون، ثم عاد مع موسى إلى طليطلة في طريقهما إلى دمشق، حيث استدعاهما الخليفة الوليد بن عبد الملك.²

3- فتح مغيث الرومي:

بعد أن فتح طارق مدينة إستجة بعث سرايا من جنده إلى عدة جهات، فبعث جيشاً بقيادة مغيث الرومي لفتح مدينة قرطبة، فاستطاع مغيث فتح المدينة دون مشقة كبيرة.

4- فتح عبد العزيز بن موسى بن نصير:

وجه موسى بن نصير ابنه عبد العزيز وعبد الأعلى إلى جنوبي شرقي الأندلس، وكان هذا بعد استعادة فتح إشبيلية، فاستطاع عبد الأعلى بالتعاون مع أخيه عبد العزيز فتح مالقة وإلبيرة من جديد، ومن الواضح أن طارقاً سبق له فتحهما، فيبدو أنها انتقضتا، فاستعاد فتحهما عبد العزيز وأخوه من جديد.

ثم توجه عبد العزيز بن موسى إلى المنطقة الجنوبية الشرقية من البلاد، فالتقى بالقرب من أوريولة بالدوق تدمير حاكم هذه المقاطعة، فصالحه على مدن المقاطعة كلها وهي: أوريولة وبلانة ولقنت ومولة وبسقرّة ولورقة، فاستعاد المسلمون فتح مدن هذه المقاطعة صلحاً بموجب معاهدة.³

1 طقوش محمد سهيل: تاريخ المسلمين في الأندلس: 91 - 897هـ \ 710 - 1492م، ط3، بيروت - لبنان: دار النفائس، ص19.

2 نفسه، ص109.

3 طقوش، المرجع السابق، ص110.

وفي الوقت الذي كان موسى وطارق يقومان بالفتح في شمالي الأندلس، كان عبد العزيز يقوم بفتح وسط البرتغال. فقد فتح يابرة وشنترين وقلمرية، وقد فتح المدينتين الأخيرتين صلحاً.

5- فتح عبد الأعلى بن موسى بن نصير:

وجه موسى بن نصير ولديه عبد الأعلى وعبد العزيز إلى جنوبي شرقي الأندلس، وكان هذا بعد استعادة فتح إشبيلية، فاستطاع عبد الأعلى بالتعاون مع أخيه عبد العزيز من فتح مالقة وإبيرة من جديد، ومن الواضح أن طارقاً سبق له فتح هاتين المدينتين لأول مرة، والظاهر أنها انتقضت، فاستعاد عبد الأعلى وعبد العزيز فتحهما من جديد.¹

6- فتح عبد الله بن موسى بن نصير:

في سنة 89هـ (708م) وجه موسى بن نصير ابنه عبد الله لفتح جزيرتي ميورقة ومنورقة، فاستطاع فتح هاتين الجزيرتين، وعاد إلى قواعدها في إفريقية سالماً غانماً.

المبحث الثاني: الحملة الاستطلاعية (حملة طريف بن مالك)

نفذ موسى أوامر الوليد بأن جهّز حملة استطلاعية مؤلفة من خمسمئة جندي؛ منهم مئة فارس بقيادة طريف بن مالك الملقب بأبي زُرعة، وهو مسلم من البربر، وجاز هذا الجيش الرُّقّاق . اسم يطلق أحياناً على المضيق . من سبته بسفن ثلثان أو غيره، ونزل قرب أو في جزيرة بالدوما في الجانب الإسباني، وعرفت هذه الجزيرة فيما بعد باسم هذا القائد: جزيرة طريف، وكان إبحار هذه الحملة من سبته في رمضان عام 91 هـ (تموز 710 م) وقد جال طريف في المدينة والنواحي المحيطة بها، واستطلع أخبار العدو في تلك الجهات، وعادت حملة طريف بالأخبار المطمئنة والمشجعة على الاستمرار في عملية الفتح، فقد درس أحوال المنطقة وتعرف على مواقعها، وأرسل جماعات إلى عدة أماكن . منها جبل طارق . لهذا الغرض، فكانت هذه المعلومات عوناً في وضع خطة الفتح ونزول طارق بجيشه على الجبل.²

أولاً: نسبه وحياته

طريف بن مالك من البربر، المعروف أيضاً باسم أبا زُرعة، كان طريقاً بربرياً ومولى لموسى بن نصير. يُنسب إليه تأسيس جزيرة طريف. ينتمي طريف إلى قبيلة برغواطة البربرية التي تنتمي بدورها إلى

1 ابن القوطية: المصدر السابق ص78.

2 حسين شعيب: "طارق بن زياد، فاتح الاندلس"، شخصيات من التاريخ، دار الفكر العربي، بيروت، ط 1، 2004، ص

فرع برانس من البربر. يُعرف أن البربر ينقسم إلى فرعين هما البرانس والبتّر.¹ وتوجد قبيلة بَرَعُوطَة في المنطقة المطلة على البحر المتوسط شمال وادي أم ربيع، وتحديدًا في منطقة حاليًا تُعرف بمدينة الرباط. يتبين لنا أن طريف بن مالك ليس فقط عضوًا في قبيلة برعوطة، بل هو زعيمها، وقد لعب دورًا بارزًا في توجيهها وتوجيه فكرها، وكذلك قيادتها في المعارك. بالإضافة إلى ذلك، تشير بعض المصادر إلى أنه كان من أصل يمني، ويُعرف بأبو زُرْعَة طريف بن مالك المَعَا فري، وتُستخدم هذه الألقاب كأسماء تكتنية. اليمن هو منطقة المعافر في اليمن والأندلس ومصر، ويُعتقد أن أصله من سبأ. وهو أيضًا طريف بن مالك التَّحْجِي، والتَّخْع هو من سبأ وينتمي إلى عامر، وعامر هو من سبأ أيضًا، وسبأ يُعتبر جزءًا من اليمن.²

ومن الواضح، أن طريف بن مالك ليس عربيًا، فهو ليس من المعافر ولا من النخع، وهو بعد ذلك ليس من اليمن، بل هو بربري من المغرب، ظهر أثره في البربر على عهد موسى بن نصير، وظل أثره فيهم بعد عهد موسى بن نصير، ولم يبرح المغرب في العهدين، وظل مع البربر واحدًا منهم حتى توفاه الله. ويبدو أن والد طريف، وهو مالك، كان مسلمًا، بدليل اسمه العربي الإسلامي، مما يدل على أن طريفًا ولد وشب وترعرع في بيت إسلامي، ولعلّ تدينه لفت إليه الأنظار، بالإضافة إلى مزاياه وكفائاته الأخرى، وكان قربه من موسى بن نصير قد أتاح له الفرصة السانحة لتولي منصبًا قياديًا، فنجح في منصبه القيادي نجاحًا ظاهرًا. وقد كان من أقرب المقربين إلى موسى بن نصير من البربر: طارق بن زياد، وطريف بن مالك، فاستعان بهما في قيادة البربر، وبخاصة في مهمة فتح الأندلس.³

وأخبار طريف في أيامه الأولى نادرة جدًا، وقد برز لأول مرة في توليته قيادة على جماعة من البربر، لتحقيق استطلاع في الأندلس، وربما بقي طريف مجهولًا لو لم يتسّم هذا المنصب القيادي، الذي سترد أخباره وشيكا.

1 البيان المغرب ج 2، ص 5، نفح الطيب ج 1، ص 229 و 253 و 285. جزيرة طريف: جزيرة صغيرة في بحر الرقاق (مضيق جبل طارق)، وطريف بليدة في جنوبي الأندلس، انظر تقويم البلدان، ص 188، والجزيرة والمدنية منسوبتان إلى طريف بن مالك الذي فتحهما، انظر تقويم البلدان، ص 166.

2 المَعَا فري: نسبة إلى يَعْفُر بن مالك بن الحارث بن مُرَّة بن أدد بن زيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلَان بن سَبَأ، انظر جمهرة أنساب العرب 418 ص.

3 تاريخ الأندلس: المصدر السابق، ص 130 نصّ ابن الشباط، والروض المعطار ص 83 و 127، ومقدمة ابن خلدون ج 1، 427 ص، ونفح الطيب ج 1، ص 127 ص ص 129 و 145 و 229 و 232 و 245 و 252.

ثانيا: طريف بن مالك صاحب أول سرية في الأندلس

كتب موسى بن نصير إلى أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك، يخبره بالذي دعاه إليه يليان (حاكم سبتة) من أمر الأندلس، ويستأذنه في اقتحامها. وكتب إليه الوليد: "أن حُضُّها بالسرايا، حتى ترى وتختبر شأنها، ولا تغرّر بالمسلمين في بحر شديد الأهوال". وراجعته موسى: "أنه ليس ببحرٍ زحّار، وإنما هو خليج منه يبين للناظر ما خلفه"، فكتب إليه: "وإن كان، فلا بد من اختباره بالسرايا قبل اقتحامه" ¹

ويبدو أن طريف بن مالك، برز من جملة مَنْ برز في عمليات موسى العسكرية، فلفت إليه الأنظار، ومنهم نظر موسى. وكان موسى بعد أن سيطر على إفريقية والمغرب سيطرة كاملة، يتطلع إلى فتح الأندلس، فقد كان حاضر إفريقية والمغرب ومستقبلهما بالنسبة لتوطيد أركان الفتوح فيهما، مهدداً من الروم أولاً ومن القوط الغربيين في الأندلس ثانياً، وقد هاجم موسى قواعد الروم في البحر الأبيض المتوسط: صِقْلِيَّة وسَرْدَانِيَّة، وفتح مَيُورَقَّة ومُنُورَقَّة، لغرض حماية فتوح إفريقية والمغرب من الروم، لأن الهجوم أنجع وسائل للدفاع؛ وبقي على موسى فتح الأندلس، لوضع حدٍّ نهائي لتهديد القوط الغربيين الذين يحكمون الأندلس - لحاضر ومستقبل فتوح المسلمين في إفريقية والمغرب.

ثالثا: سرية طريف بن مالك إلى الأندلس

فبعد موافقة الخلافة الأموية أرسل موسى بن نصير في شهر رمضان من سنة 91هـ (آب: أغسطس - أيلول: سبتمبر 710 م) سرية استطلاعية إلى جنوبي الأندلس، مؤلفة من خمسمائة مجاهد، منهم مئة فارس، والباقي من المشاة، بقيادة أبي زُرْعَة طريف بن مالك ²

وعبر هذا الجيش الرِّقَاق، والرِّقَاق اسم يطلق أحياناً على المضيق بين الأندلس وشمالي إفريقية ³ من سبتة، بسفن يليان أو غيره، ونزل في جزيرة بالوما (Isla de las Plomas) في الجانب الإسباني، وعُرفت هذه الجزيرة فيما بعد باسم هذا القائد: جزيرة طريف ⁴

ومن ذلك الموقع، الذي اتخذ طريف وسريته الاستطلاعية القتالية قاعدة أمامية متقدمة، قام طريف وسريته بسلسلة من الغارات السريعة على الساحل الأندلسي الجنوبي بإرشاد يليان وصحبه، وأغار

1المقري: مصدر السابق ج1، ص 253.

2 المقري: مصدر سابق ج1، ص 160، 229، 233، 253 والروض المعطار ج8، ص127، والبيان المغرب، ج2، ص5.

3عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، مرجع سابق، ج1ص40 وحسين مؤنس: فجر الأندلس، مرجع سابق، 67.

4ابن الأثير: الكامل في التاريخ مج:4ص 561.

على الجزيرة الخضراء، فأصاب غنيمة كبيرة، ورجع سالماً في رمضان أيضاً سنة إحدى وتسعين الهجرية، فلما رأى الناس ذلك تسرعوا إلى الغزو¹ وتشجعوا على فتح الأندلس.

وخفت قوة من أنصار يليان وأبناء غيطشة لعون المسلمين، كما قامت تلك القوة بحراسة موقع إنزال المسلمين في جنوبي الأندلس، وكانت نتيجة الغارة الاستطلاعية التي قادها طريف، أن المسلمين غنموا مغنم كثيرة وسيياً عدياً، وقوبلوا بالإكرام والترحيب، وشهدوا كثيراً من دلائل خصب الجزيرة وغناها، وعادوا في أمنٍ وسلام. وقصّ قائدهم طريف على موسى نتائج رحلته، فاستبشر بالفتح، وجدّ في أهبة الفتح، كما تشجع موسى وأخذ يستعد لإرسال حملة عظيمة تقوم بالفتح المستدام.

لقد كانت مهمة سرية طريف مهمة استطلاعية، هدفها الحصول على المعلومات عن طبيعة الأرض والسكان وأساليب قتالهم ودرجة ضراوتهم، وتفاصيل قيادتهم، ومبلغ الثقة المتبادلة بين القيادة والسكان، ومبلغ حرص السكان والقيادة على الدفاع عن أرضهم² وكان لقيام طريف بعدة غارات في المنطقة دون أن يلاقي أية مقاومة³ نتيجة مهمة واحدة، هي: عدم حرص القيادة والسكان على الدفاع عن أرضهم كما ينبغي، وهي نتيجة على درجة عالية من الأهمية بالنسبة لخطط الفتح، وبالنسبة للمسلمين الفاتحين.

وقد تعدّت مهمة طريف كذلك إلى استطلاع حقيقة نوايا يليان، ومن معه تجاه السلطة القائمة في الأندلس، والمتمثلة بالملك لذريق ونظامه، وحقيقة نواياه ومن معه تجاه المسلمين الفاتحين. وقد أثبتت سرية طريف الاستطلاعية، أن يليان ورجاله يحقدون على لذريق، ولا يتأخرون عن التشبث بكل وسيلة ممكنة للقضاء عليه، وأن غرضهم هو التعاون والمعاونة وليس خدعة بل حقيقة لا غبار عليها. المسلمين. وقد أدّى طريف ورجاله واجبه الاستطلاعي المزدوج على أتم ما يرام، وكان استطلاعه تمهيداً لوضع خطة فتح الأندلس موضع التنفيذ العملي في ميادين القتال⁴.

رابعاً: طريف بن مالك وثورة ميسرة الخارجي

1 أخبار مجموعة ص1، وفتح الأندلس ص5 وابن الكردبوس ص45. وذكر بلاد الأندلس ص84، وابن الأثير مع: ص4 ص561، والبيان المغرب ج2 ص5 والنويري ص ص22-26، ونفح الطيب ج1 ص ص160 و253-254.

2 عبد الرحمان حجي: التاريخ الاندلسي، مرجع سابق، ص46.

3 ولدعلي حنان، شتوان تركية: الفتوحات الاسلامية فيما وراء جبال البرانية في الاندلس عصر الولاة، مذكرة سابقة، ص9.

4 المغرب الأقصى: في ساحل البحر المحيط غرباً إلى تلمسان شرقاً، ومن سبتة إلى مراكش ثم إلى سجلماسة وما في سمتها شمالاً وجنوباً، أنظر تقويم البلدان ص122 وأحسن التقاسيم ص215-236.

لم نَعُدْ نسمع عن طريف، بعد هذه السريّة الاستطلاعيّة الموفقة التي قادها مستطلعاً أحوال الأندلس سكاناً وأرضاً للمسلمين، وبدأ عملياً تطبيق خطة فتح الأندلس، ومهدّ لهذا الفتح تمهيداً موفقاً. ولكنه ظهر مرة أخرى من جديد، على مسرح الحوادث في المغرب، ولعب دوراً خطيراً في الثورة التي قادها ميسرة البربري المدْعَرِي¹ في المغرب الأقصى²، وكانت أول حركة خارجية قام بها المغرب على المسلمين، وكان ذلك سنة سبع عشرة ومائة الهجرية (735 م).

وقد كان ميسرة يسعى إلى تحقيق المساواة في الأعطيات بين العرب والبربر في الجيش الإفريقي، وبعد أن خاب رجاء البربر في إنصاف الخليفة هشام بن عبد الملك، خرجوا من المعارضة الصامتة إلى الثورة³ المسلحة. وبدأت الثورة في طنجة في موطن مدغرة قبيلة ميسرة، حيث أعلن نفسه إماماً وبايعه الناس وسرعان ما انضمت إلى قبيلته جميع قبائل المنطقة من غمارة ومكناسة وبرغواطة، وكانت دعوة الخوارج منتشرة في قبيلة برغواطة بفضل طريف رئيسها الذي اعتنق مذهب الخوارج في بداية القرن الثاني الهجري، وكان سبب انضمام طريف إلى الخوارج وثورتهم، هو انحراف بعض ولاية الدولة عن العدل ومبادئ الإسلام، فكان الولاة يُخَمِّسون مَنْ لم يُجِبْ للإسلام.⁴

وقد كانت ثورة البربر عارمة، لم يتخلف عنها أحد مسلمهم وكافرهم، فما كان بإمكان طريف بن مالك أن يتخلف وحده عنها، وقد جرفته روح الجماعة. كما أن شعار الثورة في مقاومة الانحراف لا غبار عليه، فلا يرضى الإسلام أن يُخَمِّس البربر المسلمون ولا يرضى المسلمون الصالحون من الفقهاء والمحدثين بهذا التخميس، كما أن التفرقة بين المسلمين على أساس الجنس لا يقرّه الإسلام كما هو معروف.

وكان طريف من جملة قواد ميسرة وَمَنْ جاء بعده في ثورة الخوارج الصُّفْرية بالمغرب فلما انتهت تلك الثورة بالإخفاق، حلّ طريف ببلاد تامَسْنا (منطقة مدينة الرباط الحالية، وما حولها)، فقدّمه البربر على أنفسهم، فوُلِّي أمرهم، وكان على دين الإسلام. وبقي أميراً على البربر في تلك البلاد -ليس على برغواطة حسب- بل على جميع بربر تلك البلاد، حتى تُوفي سنة 124هـ (741 م).⁵

1 ابن خلدون: مج4، ص254، ونفح الطيب: مج1، ص233، نقلاً عن ابن خلدون.

2 ابن الأثير: مج5 ص191، ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، ص218.

3 ابن عبد الحكم: نفسه، ص254.

4 البيان المغرب: مصدر السابق، ج1 ص57.

5. سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف، القاهرة 1965م، ص417.

وترك طريف أربعة أولاد، فَوَلَّى الأمر بعده صالح بن طريف سنة 124هـ (741 م) ¹ تنبأ فيهم، وشرع لهم ديانة، وسمي نفسه: صالح المؤمنين، وعهد إلى ابنه إلياس بديانته، وأمره ألا يظهر ذلك إلا إذا قوي أمره، وحينئذ يدعو إلى مذهبه، ويقتل من خالفه من قومه. وقد اقتصر انحراف عَقِب طريف على برغواطة، فنُسب هذا الانحراف إلى قبائل الإقليم، فعرف ب: زندقة برغواطة ²

فَاتَّهام طريف بانحرافه عن الإسلام فقد كذبه مَنْ اتَّهمه بهذه التهمة في كتابه الذي اتَّهمه فيه كما لم تأخذ بهذا الاتهام المصادر المعتمدة الأخرى، فقد نسبت زندقة برغواطة إلى صالح ابن طريف لا إلى طريف فالتهمة الموجهة إلى طريف ولدت مَيِّتة، لم يصدقها أحد، ولم يأخذ بها أحد.

خامسا: طريف بن مالك القائد

لقد تقدّم طريف على غيره من البربر المسلمين، بمزاياه القيادية التي لفتت إليه الأنظار، فولاه موسى منصباً قيادياً، في ظروف غير اعتيادية، لينهض بتحقيق هدف مصيري صعب، في أيام يصعب فيها على غير العرب المسلمين الوصول إلى المناصب القيادية، لأنها كانت للعرب المسلمين وحدهم دون سواهم، ولكن طريفاً وطارق بن زياد وحدهما من البربر توليا منصبين قياديين في فتوح الأندلس، وكانا قبل ذلك من أقرب المقربين إلى موسى بن نصير ومن أبرز المقربين إليه من البربر المسلمين.

ومفتاح مزايا شخصية طريف القيادية، تتركز في إيمانه العميق، فهو مجاهد صادق. وهو شجاع مقدام، يعتبر الشهادة أُمْنِيَّة من أعزّ أمانيه، وهو متزن غير متهور، لا يخطو خطوة بدون حساب، وهو كذلك ذكي ألمعي الذكاء. ³

لهذا وغيره كان طريف على حسن ظنّ موسى بن نصير به، وعند حسن ظن طارق بن زياد أيضاً، وعند حسن ظن المسلمين الفاتحين في الأندلس، وكان تولّيه منصباً قيادياً مكسباً لا شك فيه للقيادة العامة وللفتح والفتاحين.

1البيان المغرب: مصدر السابق ج1، ص57.

2البيان لمغرب: نفسه ص 224.

3ابن الأثير: معج، 5ص191.

الفصل الرابع:

المراحل الرسمية للفتح الإسلامي للأندلس

المبحث الأول: حملة طارق بن زياد

المبحث الثاني: حملة موسى بن نصير

المبحث الاول: حملة طارق بن زياد

يعد طارق بن زياد من أشهر زعماء المقاومة البربرية في العصر الوسيط إلى جانب كسيلة والكاهنة ويوسف بن تاشفين. وقد استطاع بفضل عقيدة الإسلام وسماحة الدين ويسر الشريعة الربانية أن يتعلم القرآن الكريم وسنة نبيه (صلى الله عليه وسلم)، وبفضلهما نجح طارق في فتح الأندلس ونشر الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية شرقا وغربا وشمالا وجنوبا حتى وصلت الفتوحات الإسلامية إلى لأبوتيه بفرنسا. واستمر الإسلام في الأندلس مدة ثمانية قرون، واستطاع المسلمون أن يقدموا لأوربان حضارة إنسانية متقدمة كانت من بين العوامل الأساسية لتحقيق النهضة الأوربية، وانتشار الحركة الإنسية، وانطلاق الكشوفات الجغرافية، وتطور المعارف والعلوم والفنون في الغرب المسيحي، والتي أسفرت عن ظهور ما يسمى بغرب الحداثة الذي سيطر على العالم بفضل ثمار الحضارة العربية التي ازدهت بالأندلس، والتي كان وراءها القائد البربري المسلم طارق بن زياد. إذا، من هو هذا الفاتح المشهور الذي تحدثت عنه كتب التاريخ سواء العربية منها أم الأجنبية؟ وما هي أهم المراحل التي مر بها فتحه للأندلس؟ وما موقع خطبة طارق بن زياد من التشكيك والإثبات؟¹

أولا: ترجمه طارق بن زياد

طارق بن زياد الصائدين هو قائد مسلم فتح إسبانيا مولى الأمير موسى بن نصير أمير أفريقيا من قبل الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، قاد أول الجيوش الإسلامية التي دخلت شبه جزيرة أيبيريا. يعتبر طارق بن زياد من أشهر القادة العسكريين في التاريخ ويحمل جبل طارق جنوب إسبانيا اسمه حتى يومنا هذا وقد توفي في سنة 720م.²

1- أصله:

يعد طارق بن زياد من أهم الشخصيات الإسلامية لما كان له من دور في نشر الإسلام في شبه الجزيرة الإيبيرية، وقد تباينت الروايات التاريخية حول أصل هذه الشخصية بين من يقول عربية، وبعض يقول بربرية، على حسب ما جاء به المؤرخون في صدد تقديمهم لفتح الأندلس فمنهم:

أ- القائلون بالنسب العربي:

1 الزركلي خير الدين: الأعلام، دار العلم للملايين، ص ص 215، 216.

2 البلاذري: المصدر السابق، ص 239.

من بين المؤرخين القائلين بعروبة طارق بن زياد اعتماد على انه مولى او عاملا لموسى بن نصير اهمهم ابن خلدون قائلا: "طارقا بن زياد الليثي واليا على طنجة"¹ وايضا قال الضبي: "فطارقا بن زياد وقيل ابن عمرو كان واليا على طنجة"². وذكره ابن الاثير قائلا: وغزا فيها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير³ ويقول ابن القوطية ايضا: فلما دخل طارق بن زياد الاندلس⁴ والمقري يقول طارق بن عمرو⁵ وهناك راي اخر يقول: طارق بن زياد كان فارسيا همدانيا⁶

ب- القائلون بالنسب البربري:

إن أول من أرجع أصول طارق للبربر هو الإدريسي قائلا: طارق بن عبد الله بن ونامو الزناتي،⁷ دون الإشارة إلى أنه ابن زياد. وقد أشار له ابن عذارى: هو طارق بن زياد بن عبد الله ابن رفهو بن ورفجوم بن ينزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزان⁸

1- أعماله:

لا يُعرف شيء عن أعمال طارق بن زياد في أول نشأته أثناء ولاية زهير بن قيس على إفريقيا. فلما قُتل زهير في طبرق، عام 76هـ، عُين طارق أميراً على برقة غير أنه لم يلبث طويلاً في هذا

¹ ابن خلدون، المصدر السابق، مراجعة: سهيل زكار وضبط المتن: خليل شحاته، دار الفكر، لبنان، 2000م، ج4/

ص150

² الضبي: بغية الملتبس في رجال اهل الاندلس، تح ابراهيم الايباري، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1989، ط1،

ج1، ص 27

³ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، الأردن، ص653.

⁴ ابن القوطية: المصدر السابق ص29.

⁵ المقري: المصدر السابق، ج1، ص230.

⁶ مجهول: أخبار المجموعة مصدر سابق ص ص17

⁷ الادريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، مج1، ص539.

⁸ ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في اخبار المغرب والاندلس، مكتبة الصادر، مطبعة المناهل، 1995، بيروت، ج2،

ص27.

المنصب، إذ أنه سرعان ما اختير قائداً لجيش موسى بن نصير، فأبلى بلاءً حسناً في حروبه. وظهرت لموسى قدرته في اقتحام المعارك، ومهارته في قيادة الجيش، فولاة على مقدمة جيوشه بالمغرب. وهكذا أتيح لطارق بن زياد أن يتولى قيادة جيوش موسى، ويشترك معه بقية بلاد المغرب، والسيطرة على حصون المغرب الأقصى حتى المحيط الأطلسي.¹

ومازال يقاتل، ويفتح مدائنهم حتى بلغ مدينة الحسيمة (قصة بلادهم، وأم مدائنهم) فحاصرها حتى دخلها، وأسلم أهلها. ولم يمحض على ولاية موسى للمغرب عدة أعوام، حتى خضع له المغرب بأسره، ولم تستعص عليه سوى مدينة سبتة، لمناعتها وشدة تحصنها. وكان يتولى إمارتها حاكم من قبل الدولة البيزنطية، يعرف بالكونت جوليان، ويسميه مؤرخو العرب يليان المسيحي

وكان يليان هذا - برغم تبعيته للدولة البيزنطية - يتوجه في طلب المعونة إلى مملكة القوط (Goth) بإسبانيا، فتمده الحكومة القوطية بالمؤن والأقوات عن طريق البحر. وقاتله موسى وطارق فألفياه في نجدة وقوة وعدة، فلم يمكنهما التغلب عليه، فرجعا إلى مدينة طنجة، ومن هناك أخذوا يغيران على ما حول سبتة، ويضيقان عليها الخناق دون جدوى، إذ كانت سفن القوط تختلف إلى سبتة بالميرة والإمداد. فلما يئس موسى من دخول سبتة، أقام قائده طارق بن زياد والياً على مدينة طنجة حتى تتاح له فرصة مراقبة مدينة سبتة من كثب، وترك تحت تصرف طارق تسعة عشر ألفاً من البربر بأسلحتهم وعددهم الكاملة، مع نفر قليل من العرب ليعلموهم القرآن وفرائض الإسلام. أما موسى، فقد عاد إلى القيروان.²

آثر طارق أن يكسب صداقة عدوه يليان مادام قد عجز عن دخول مدينته الحصينة. ويذكر أن طارقاً كان يرسل يليان ويلاطفه حتى تهادنا. ثم حدث في الجانب الآخر القوطي (الأندلس) أمر لم يكن في الحسبان: ذلك أن ودريو (لذريف) - أحد قواد الجيش القوطي - وثب على العرش، وخلع الملك غطشه، وتولى مكانه، ثم إن لذريف اعتدى على ابنة يليان التي كانت في بلاط الملك غطشه، الأمر الذي أثار غضب يليان، وجعله يأتي بنفسه إلى طارق بن زياد ويعرض عليه مساعدته في الاستيلاء على الأندلس. ولم يتردد طارق في الاتصال فوراً بمولاه موسى بن نصير بالقيروان، الذي

1 البلاذري: المصدر السابق، ص 239.

2 عبد الله عنان: الأندلس في دولة الإسلام ج 1، ص 40، حسين مؤنس: فجر الأندلس، مرجع سابق، ص 67.

اتصل بدوره بالخليفة الوليد بن عبد الملك يطلب استشارته وإذنه، ونصحه الخليفة الوليد بألا يعتمد على يليان بل يرسل من المسلمين من يستكشف الأمر، فأرسلت سرية طريف التي عادت بالبشائر والغنائم.¹

ثانيا: طارق بن زياد فاتحا للأندلس:

بعد فتوحات حسان بن النعمان المظفرة في أفريقية، وانتصاره على آخر مقاومة في بلاد تمازا بقيادة الكاهنة دهيا، سيواصل موسى بن نصير اللخمي فتوحات حسان، وسيدخل إلى المغرب تقريبا بدون مقاومة تذكر. والسبب في ذلك أن حسان بن النعمان هيا له الأرضية وأخذ كل الثورات الأمازيغية والمناوشات الرومية والثورات المضادة وأسكت كل المتمردين.

هذا، وقد أحضر موسى بن نصير معه الفقهاء ليعلموا البربر أصول الدين الإسلامي والفقهاء والحديث. وقد تأثر البربر فعلا بحضارة العرب ولغتهم ودينهم بكل سهولة، وتطبعوا بسلوكهم ومبادئ الإسلام السمحة. وفي هذا يقول جوستاف لوبون: "للبربر لغة عريقة يحتمل أن تكون مشتقة من الفينيقيّة الكنعانية. ويدين البربر بالإسلام، ولكنهم كانوا يدينون بآلهة قرطاجنة الكنعانية. وقد تعربت البربرية حيث تتألف لغة بلاد القبائل الأمازيغية بنسبة الثلث من العربية. فتأثير العرب في شمال أفريقيا أكبر وأقوى من الرومان والإغريق الذين لم يتركوا أثرا في اللغة البربرية."²

واتخذت فتوحات موسى بن نصير وجهتين أساسيتين: وجهة بحرية للهيمنة على البحر الأبيض المتوسط وجزره، ووجهة برية لفتح جميع الثغور والمناطق التي استعصت على الفتح من قبل حسان بن النعمان من أجل نشر الإسلام والتعريف بدين محمد (صلى الله عليه وسلم).

وبعد ذلك، توطدت علاقة موسى بن نصير بحاكم سبتة يوليان أو يليان، وقد اختلفت المصادر في شخصية يوليان هذا، فبعضها يذكر أنه قوطي، وبعضها يزعم أنه رومي، وبعضها ينسبه

1 ابن الأثير: مصدر السابق، ص 191.

2 نقلا عن عز الدين المناصرة: المسألة الأمازيغية في الجزائر والمغرب، دار الشرق، عمان، الأردن، ط 1999، ص 1م، ص

إلى بربر غمارة...¹ وقد اتصل يوليان بموسى بن نصير لفتح إسبانيا وجعل سبته في خدمة جيشه وتقديم كل المساعدات التي يحتاجها في مواجهة الملك الرومي لوزريك الذي اعتدى على ابنته وكذلك الوفاء لغطشه صديقه الوفي الملك السابق قبل لذريف.² ومن هنا أمر موسى بن نصير عامله على طنجة طارق بن زياد بتجهيز الحملة العسكرية لفتح الأندلس. وقبل ذلك، أرسلت سرية بقيادة طريف ويكنى بأبي زرعة، ففتح جزيرة طريف في مائة فارس وأربعمائة راجل، فعاد بسبايا وبأموال كثيرة.

وتوجه طارق بن زياد لفتح الأندلس سنة 92هـ في اثني عشر ألف جندي، فيهم ثلاثمائة فقط على أكثر تقدير من العرب الذين كانوا قوادا مؤطرين للفرق العسكرية منهم مغيث الرومي وعبد الملك المعافري، وعبر طارق البحر في سفن يوليان ونزل بصخرة تحمل إلى يومنا هذا اسمه (جبل طارق)، وفتح الجزيرة الخضراء، ودخل بجيشه بعد أن أحرق السفن في معركة حامية الوطيس مع جيش لذريف استمرت ثمانية أيام حسوما انتهت بهزيمة القوط شر هزيمة. وفتحت هذه المعركة أبواب الأندلس على مصراعها أمام الفتوحات الإسلامية التي شرقت في إسبانيا وغربت، فوصلت جيوش طارق طليطلة سنة 93هـ دون مقاومة تذكر. ومن ثم، تمكن طارق بن زياد من فتح قرطبة ومالقة وغرناطة ومرسيه، وحصل على مائدة ثمينة من الزبرجد نسبت إلى سليمان عليه السلام.³

وهكذا استطاع رجال طارق بن زياد، وهم برابرة أشداء، بمساعدة مجموعة من قادة العرب المسلمين أن يفتحوا مدن الأندلس، بعد أن تعلموا القرآن الكريم ومبادئ العقيدة السمحة بسرعة فائقة، وانطلقوا لنشر الإسلام في ربوع شبه الجزيرة الإيبيرية تحت راية الجهاد في سبيل الله بكل حماس وصمود قل نظيرهما، وساهموا في بناء حضارة عربية إسلامية أمازيغية في الأندلس، استمرت زهاء ثمانية قرون في ظل التسامح والتعايش والتقدم والازدهار حتى تبدلت أحوال المسلمين، ومالوا إلى الترف

1الدكتور علي محمد الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، دار الفجر للتراث، القاهرة الطبعة سنة 2005م، مج:1، ص206.

2الدكتور محمد علي الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، مرجع سابق، ص20.

3إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط 2000م، ج1، ص 89.

والتقاعس عن الجهاد، واستحبوا القيان والمجون، ومالوا إلى التفرقة خاصة في عهد ملوك الطوائف؛ مما أدى بهم الأمر إلى التشتت والانحيار وسقوط إمارات الأندلس كلها إمارة تلو أخرى.

وقد قيل الكثير عن عزل طارق بن زياد من قبل موسى بن نصير، فهناك من أرجع الأمر إلى أن طارق بن زياد لم يلتزم بخطة بن نصير العسكرية، فغامر بجيشه أثناء فتوحاته وتوغل به في أعماق إسبانيا دون أن يستشرف طارق عواقب هذه المغامرة الجريئة بشكل جيد. وهناك من اعتبر هذا العزل غير عادل بسبب الحسد الذي كان يستشعر موسى بن نصير تجاه طارق بسبب نجاح مولاه في فتوحاته وما اكتسبه من شهرة جعلته ذا نفوذ كبير بين قومه.

وفي هذا الصدد يقول الباحث المغربي الدكتور إبراهيم حركات: "وإذا كان موسى بن نصير قد حسد طارقاً على ما حصل عليه من فتوح وغنائم، حتى إن الأمر أدى به إلى اعتقاله، فإن هذا لم يحرك ساكناً، مع ما كان يتمتع به من نفوذ بين قومه. وقد قيل إن موسى كان قد أوصاه بعدم تجاوز قرطبة في فتوحاته فلم يمتثل.

والواقع أن موسى بن نصير قد أساء إلى طارق باعتقاله، والتنكيل به، بيد أن عمله هذا ليس إلا حلقة من سلسلة المساوئ التي ارتكبها الولاة الأمويون ضد البربر في المغرب... ومهما كان من معاملة الأمويين للبربر، فإن هؤلاء قد أخلصوا للإسلام، وبفضلهم استمر الحكم الإسلامي للأندلس ثمانية قرون.¹

ولكن الدكتور علي محمد الصلابي له رأي مخالف لما ذهب إليه الدكتور إبراهيم حركات وأمثاله من الدارسين: "أما ما تواتر في كتب التاريخ العربي من أن موسى ما كاد يسمع بأخبار الفتح حتى أكل الحسد قلبه، وقرر أن ينال هو الآخر نصيبه من شرف الفتح، وأنه أساء معاملة طارق وضربه بالسوط فليس بصحيح، إذ لا يعقل أن يصدر مثل ذلك عن تابعي جليل وفتح عظيم كموسى، ثم إن طارقاً كان مولى موسى، يعمل بأوامره وينفذها نصاً وروحاً، وكان يكتب إليه أخبار الفتح أولاً بأول، فلو أن موسى حسد طارقاً أو أساء الظن به لاستطاع إزاحته من طريقه، وذلك بعزله واستدعائه إلى القيروان، ولا يستطيع طارق مخالفة أوامر موسى في شيء.

¹ إبراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ج 1، ص 90.

إن كل الدلائل تشير إلى أن طارقاً كان مثالا للطاعة والنظام... ولعل أوضح دليل على أن موسى قدم الأندلس لمعونة طارق لا لتأديبه، وأن موسى قدم الأندلس لأغراض عسكرية بحتة، وأن موسى لم يذهب للقاء طارق بعد نزول أرض الأندلس وإنما انصرف إلى فتح كبار البلاد الجنوبية والغربية التي خلفها طارق دون فتح، وذلك لحماية جناح طارق الأيسر من جهة، ولتدعيم قواعد الفتح المتقدمة في الأندلس ولتشتيت قوات العدو بإشغالها في جبهات عديدة بقوات المسلمين الضاربة، فلما تم له ذلك سار موسى إلى طارق ولقيه في طليبة على مقربة من طليطلة وحين التقيا قال موسى لطارق: "يا طارق إنه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يمنحك الأندلس، فاستبحه هنيئاً مريئاً"، فقال طارق: "أيها الأمير! والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته إلى البحر المحيط أخوض فيه بفرسي"، ولم يزل طارق يفتح ومعه موسى إلى أن بلغ جليدية وهي على ساحل البحر المحيط.¹

هكذا، يتبين لنا أن سلوك موسى بن نصير مع طارق بن زياد كان سلوكاً سمحاً وعادلاً ينم عن دماثة أخلاق القائد العربي الجليل وحسن معاملته لطارق بن زياد مولاه المغربي، كما أن السياسة العسكرية تستوجب في الكثير من الأحيان التروي والتمهل والتعقل وعدم المغامرة، وتنفيذ أوامر السلطات العليا وترجيح مصلحة الأمة على المصلحة الخاصة، حتى ولو افترضنا أن هناك عزلاً بالفعل، فلن يكون ذلك القرار إلا لأسباب عسكرية وقيادية.²

ثالثاً- طارق بن زياد خطيباً:

أشتهر لطارق بن زياد خطبة تم تداولها على أئمة مسلمة تاريخية له، ولكن المتتبع للمصادر والدراسات المتخصصة فإنه سيجد غير ذلك، خاصة أن طارقاً كان له الفضل بعد الله في فتح الأندلس، وبالتالي ألصقت به كل الأمور الإيجابية لتزيد من رفع قدره، ولا بأس بأن نتطرق لما قيل حول هاتاه الخطبة.

قال طارق بن زياد خطبة رائعة أثناء فتحه للأندلس بعد أن أحرق الأجفان والسفن التي حملتهم إلى الجبل المسمى باسمه (جبل طارق) قطعاً لأملهم في الهروب والرجوع والفرار، وتحفيزاً لهم

1 الدكتور محمد علي الصلابي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، ج1، ص 314-315.

2 عبد الله كنون: النبوغ المغربي في الأدب العربي، ط2، 1960، ج1 ص 42.

على المواجهة والمقاتلة ومحاربة العدو. وبذلك تكون خطبة طارق بن زياد أقدم نص أدبي نثري وصل إلينا في الأدب المغربي. ومن ثم، يكون طارق بن زياد أول أديب بربري متعرب أرسى دعائم الأدب المغربي ووطد أسسه الفنية والجمالية على مرتكزات أسلوبية آية في الروعة والبيان والتصوير الفني. ويقول عباس الجراري في هذا السياق: "وربما اعتمد الذين يقولون بوجود أدب في المغرب لأول عهده بالإسلام على الخطبة المشهورة التي ألقاها طارق بن زياد في الجيش المتوجه لفتح الأندلس. والحق أن الباحثين وقفوا بشأن هذه الخطبة مختلفين.

ويذهب البعض إلى أن جند طارق "كان في مجموعته يدرك مدلول ما احتواه الخطاب الحماسي العربي، وهو ما هو علوا في البيان والروعة والسمو يجعلنا نومن بأن برابرة المغرب لذلك العهد الإسلامي الفتى كان لهم إلمام واسع ومعرفة لا تقصر عن فهم أمثال هذا الخطاب الحربي البليغ الذي حول فزعهم ثباتا وشجاعة واضطرابهم يقينا وصمودا".¹

ولما سمع الجيش خطبة طارق "أثرت فيه تأثيرها البليغ المشهود في اندفاعه إلى حومة الوغى، وتهافته على الموت بإيمان وحماس. فكيف يفسر هذا بغير سرعة انتشار العربية، كالسرعة التي انتشر بها الإسلام"²

خطبة طارق بن زياد كما أوردها الأستاذ والباحث المغربي عبد الله كنون ونقحها في كتابه القيم "النبوغ المغربي في الأدب العربي: أيها الناس: أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر. واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللثام. وقد استقبلكم عدوكم بجيشه، وأسلحته وأقواته موفورة. وأنتم لا وزر لكم إلا سيوفكم، ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم. وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا، ذهبت ربحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم. فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة. وإن انتهز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة، ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها

1د. عباس الجراري: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياها، ط1، مكتبة المعارف، الرباط، ط2، مطبعة النجاح

الجديدة، الدار البيضاء، 1982، ج1 ص53-54.

2د. عباس الجراري: المرجع السابق، ص53-54.

النفوس (من غير أن) أبدأ بنفسي. واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالألفة الألد طويلا، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفى من حظي. وقد بلغتكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان، من بنات اليونان، الجافلات في الدر والمرجان، والحلل المنسوجة بالعقيان، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان.

وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عربانا، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهارا وأختانا. ثقة منه بارتياحكم للطعان، واستملاحكم بمجالدة الأبطال والفرسان، ليكون حظهم منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصة لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم. والله تعالى ولي إجادكم على ما يكون لكم ذكرا في الدارين. واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاعة القوم "لذريف" فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلك بعدة فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه وان هلك قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزمي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فإنهم بعده يخذلون.¹

وتتسم خطبة طارق بن زياد بروعة الأسلوب ونصاعة البيان وتنوع الأساليب وانتقالها من الخبر نحو الإنشاء، ومن الإنشاء الطلبي إلى الإنشاء غير الطلبي. ويعتمد طارق بن زياد في نصه الخطابي هذا على الحجاج الإقناعية والتصوير البلاغي وأسلوب الترغيب والترهيب للتأثير في نفوس مخاطبيه وإقناعهم بضرورة الدفاع عن أنفسهم ومقاتلة الأعداء حتى يتحقق النصر لنشر الإسلام في ربوع الأندلس قاطبة. وتشبه هذه الخطبة في خصائصها الجمالية الخطبة الأموية في استرسالها وبلاغة أسلوبها وسحر كتابتها وجمال ألفاظها وعدوبة بياها.²

أثارت خطبة طارق بن زياد الرائعة في البلاغة والفصاحة ردود كثير من الباحثين والدارسين بين مدافع عن نسبة الخطبة إلى صاحبها لكونه مؤهلا لذلك وقادرا على الإتيان بها مادام قد تربى في بيوت العرب والإسلام في المشرق قبل أن ينتقل إلى المغرب، كما أنه كان متأثرا كثيرا بالإسلام والبيان العربي على غرار الكثير من البربر الذين اندمجوا مع العرب في بوتقة حضارية عربية إسلامية واحدة،

1 عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 348.

2 البكري: المصدر السابق، ص 134 والاستبصار: المصدر السابق ص 197.

ورافض للخطبة بسبب بربرية صاحبها واستحالة أن يأتي طارق بهذه الخطبة التي يعجز عن الإتيان بها حتى العرب الفصحاء وفطاحل البلاغة والبيان، بله عن كونه حديث الإسلام وتعلم اللغة العربية مع بداية الفتوحات الإسلامية.

هذا، ويعد شكيب أرسلان أول من أشاد بخطبة طارق بن زياد وبخطبته البيانية البليغة التي يصعب على البلغاء العرب أن يجاروه في فصاحتها وروعة أسلوبها وصورها الفنية المؤثرة، بيد أنه أول من شكك في هذه الخطبة اعتمادا على بربرية طارق وانتمائه إلى السلالة الأمازيغية، يقول شكيب أرسلان في هذا الصدد:

ونبغ فيهم (أي البربر) العلماء والخطباء بالعربية الفصحى، وحسبك شاهدا طارق بن زياد الذي خطب قبل الموقعة التي هزم فيها لذريف ملك الأندلس، تلك الخطبة الطنانة التي لو حاول مثلها قس بن ساعدة، أو سحبان وائل، لم يأت بأفصح ولا بأبل منها، ولقد كنت أفكر مليا في أمر هذه الخطبة وأقول في نفسي... هنا لغز من ألغاز التاريخ لا ينحل معناه بالسهولة فقد اتفقت الروايات على كون طارق بن زياد بربريا قحا، وكذلك اتفقت الروايات أيضا على كونه هو لا غير صاحب الخطبة الرنانة المعدودة من أنموذجات الخطب العربية فكيف يمكن التوفيق بين هذين الأمرين المتناقضين، وأنى لطارق البربري مثل هذه العربية، وكنت أفكر في أن طارقا قد يكون أحسن تعلم العربية كما أحسن ذلك كثير من أبناء جيله، وكما تعلمت العربية رجال فارس حتى بزوا في العربية أقرانهم من أنفس العرب، ولكني لم أكن مستريح البال من جهة إتقان طارق للعربي الفصيح وبلوغه فيه هذه الدرجة العليا، وكان يحز في صدري أن تلك الخطبة كانت بلاغيتها في المعنى، وإنما وضعها رواة العرب في هذا القالب الفصيح الذي سحر الألباب، وما زلت مترددا في هذا حتى جاءني ثلج اليقين على يد الأستاذ عبد الله كنون الذي جزم بأن هذه الخطبة النادرة إنما كانت من جملة ثمرات انطباع البربر بالطابع العربي البحت.¹

ويشك عبد الله عنان صاحب كتابه "دولة الإسلام في الأندلس" في خطبة طارق بن زياد، لأنها لم ترد في المصادر التاريخية الوسيطة: "إنه يسوغ لنا أن نرتاب في نسبة هذه الخطبة إلى طارق،

1 شكيب أرسلان: النبوغ المغربي في الأدب العربي: (عرض وتحليل)، ط2، 1960، ج2، ص ص 22-23.

فإن معظم المؤرخين ولاسيما المتقدمين منهم لا يشير إليها، ولم يذكرها ابن عبد الحكم ولا البلاذري، وهما أقدم رواة الفتوحات الإسلامية، ولم تشر إليها المصادر الأندلسية الأولى، ولم يشر إليها ابن الأثير وابن خلدون، ونقلها المقرئ عن مؤرخ لم يذكر اسمه، وهي على العموم أكثر ظهوراً في كتب المؤرخين والأدباء المتأخرين. وليس بعيداً أن يكون طارق قد خطب جنده قبل الموقعة، فنحن نعرف أن كثيراً من قادة الغزوات الإسلامية الأولى كانوا يخطبون جندهم في الميدان، ولكن في لغة هذه الخطبة وروعة أسلوبها وعبارتها ما يحمل على الشك في نسبتها إلى طارق، وهو بربري لم يكن عريقاً في الإسلام والعروبة، والظاهر أنها من إنشاء بعض المتأخرين، صاغها على لسان طارق مع مراعاة ظروف المكان والزمان".¹

ومن الذين يشكون في هذه الخطبة الدكتور أحمد هيكل، وتتمثل حيثيات شكه في الأسباب التالية:

- إن طارق بن زياد كان بربرياً مولى لموسى بن نصير ومن شأنه أن يكون حديث عهد بالعربية وألا يستطيع الخطابة والشعر بلغة هو حديث عهد بها.
- إن المصادر الأولى التي سجلت حوادث الفتح قد خلت تماماً من أي حديث عن هذا الأدب مع أنها تناولت تفاصيل يدخل بعضها في باب الأساطير. وقد استوت في ذلك الصمت عن هذا الأدب المصادر الأندلسية والمغربية والمشرقية جميعاً، ولم يرد هذا الأدب المنسوب إلى طارق إلا في بعض المصادر المتأخرة كثيراً عن فترة الفتح مثل نفح الطيب.
- الأسلوب الذي جاءت به لم يكن معروفاً في النثر العربي خلال الفترة التي تعزى إليها تلك الخطبة فالسجع الكثير والمحسنات المتكلفة قد شاءت في عصر متأخر كثيراً عن القرن الأول.
- قوله لجنده وكانوا كلما نعرف من البربر: (وقد اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً). فطارق كان يعرف أن جنوده من البربر وكنوده كانوا يعرفون أنهم ليسوا عرباناً. ومن هنا يبعد أن يكون قد خطبهم بهذا الكلام الذي لا يقوله إلا غير عالم بحقيقة جيش طارق".²

1 عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس: من الفتح إلى بداية عهد الناصر العصر الأول، ط3، القسم الأول، ص47.

2 د. أحمد هيكل: الأدب الأندلسي: (من الفتح إلى سقوط الخلافة)، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة، ص71،

ومن الذين يثبتون نسبة الخطبة لطارق بن زياد عبد الله كنون أثناء رده على دعوى شكيب أرسلان اعتماداً على أسباب ثلاثة: نشأته في بيت العروبة والإسلام في الشرق قبل انتقاله مع أبيه إلى المغرب، ثم إسلام الكثير من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروم والفرس والعجم وكانوا من كبار العلماء والفصحاء والبلغاء، كما أن خطبة طارق بليغة من حيث المعاني لأمن حيث الصور والفنيات الجمالية، والمعاني كما قال الجاحظ مطروحة في الأسواق وإنما الاعتداد بالبيان وروعة المجاز والتخييل البلاغي وهذا ما لم يجده كنون في خطبة طارق، وأن هذه الخطبة يمكن لأي متفقه في العربية أن يأتي بها: "يستشكل بعض الباحثين صدور خطبة طارق بن زياد منه وهو بربري قح، يستبعد أن تكون له هذه العارضة القوية في اللغة العربية، حتى يأتي بتلك الخطبة البليغة. وهو استشكل في غير محله،

1- لأن طارق بن زياد إن كان أصله بربرياً فقد نشأ في حجر العروبة والإسلام بالمشرق، ولم يكن هو الذي أسلم أولاً بل والده، بدليل اسمه زياد فإنه ليس من أسماء البربر، ولا شك أنه كان من مسلمي الفتح المغربي الأول، وأنه انتقل إلى المشرق حيث تولاه موسى بن نصير ونشأ ولده في هذا الوسط العربي الذي كونه وثقفه.

2- لأن نبوغ غير العرب في اللغة العربية منذ اعتناقهم الإسلام أمر غير بدع حتى يستغرب من طارق، وهو قد نشأ في بيت إسلامي عربي. فعندنا سلمان الفارسي الذي قضى شطر حياته في بلاد عجمية فلما أسلم بعد ذلك تفتق لسانه بالعربية إلى أن قال فيها الشعر، وبيته مضروب به المثل في الاعتزاز بالإسلام واعتباره هو نسبه الذي يفخر به، إذ افتخروا بقيس أو بتميم، لا يخفى على أحد.

ونمثل ببربري آخر، غير طارق وهو عكرمة مولى ابن عباس الذي قال فيه الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة؛ ومقامه في العلم والرواية لا يجهل،

3- لأنه ليس في الخطبة من صناعة البيان ما يمنع نسبتها لطارق، وبلاغتها في نظرنا إنما تركز أولاً وبالذات على معانيها، والمعاني ليست وقفاً على عربي ولا عجمي. نعم يمكن أن يكون وقع في هذه الخطبة بعض تصرف من الرواة بزيادة أو نقص، ونحن قد صححنا فيها بالفعل إحدى العبارات التي لم

تكن واضحة الدلالة على معناها ولكن هذا لا ينفي أصل الخطبة ولا يصح أن يكون حجة للتشكيك في نصها الكامل.¹

ومن الذين دافعوا عن هذه الخطبة وقالوا بنسبتها إلى طارق الدكتور عباس الجراري: "وأغلب الظن في كل هذه الأقوال مبالغة لا تنكر. أما بالنسبة لما ذهب إليه الوالد وصاحب النبوغ فنحن نعرف أن البربر بمجرد أن أسلموا، أو بالأحرى أسلمت طائفة منهم، خرجوا للفتح من غير أن تتاح لهم أية فرصة - مهما كانت هذه الفرصة قصيرة - ليتعلموا اللغة العربية لدرجة تمكنهم من الخطابة بهذا الأسلوب الذي وردت به خطبة طارق.

وأما بالنسبة لصاحب "الأدب الأندلسي" وصاحب "دولة الإسلام" قبله فنحن لا نختلف معهما في أن طارق بن زياد لم يتح له من تعلم اللغة ما يسمح له بإلقاء تلك الخطبة، ولكننا نختلف معهما فيما بعد ذلك. فإهمال المصادر القديمة لهذا الأدب - إن كان هناك إهمال حقاً - لا ينهض دليلاً على رفضه، لاسيما ونحن نعرف أن ما وصلنا من هذه المصادر قليل جداً، وأن ما وصلنا فيها من أخبار ونصوص ليس غير جزء ضئيل مما كنا ننتظر أن يصلنا يوم يكشف النقاب عن تراثنا الدفين. ثم إن القول بإهمال المصادر القديمة لهذه الخطبة قول مبالغ فيه، فقد فات كلا من الأستاذين هيكل وعنان أن يطلعا على كتب كثيرة ألفت قبل "نفح الطيب" وردت فيها الخطبة بنصوص متشابهة حيناً ومختلفة حيناً آخر".²

ويضيف عباس الجراري بأن أسلوب طارق بن زياد في خطبته لا يختلف عن أسلوب خطباء الدولة الأموية، أما كلمة عربانا فقد يكون أصابها تحريف ويكون بمعنى عزبانا أو قد يكون بمعنى القواد العرب الذين جعلوا على رأس كل فرقة من الجيش.

ويؤكد عباس الجراري في الأخير إثبات حقيقة هذه الخطبة تاريخياً إلا أنه يرجح أن تكون من إنشاء كاتب عربي سلمت لطارق ليلقيها على الفاتحين المسلمين: "والرأي عندي بعد هذا أن الخطبة ثابتة وإن كان اختلاف النصوص يدعو إلى الشك في هذا الثبوت، ثم إنني أرجح أنها ليست من إنشاء طارق وإنما كتبت له ليلقيها في الجيش، وإنها في هذه الحالة من إنشاء عربي من الفاتحين يتقن الكتابة

1 عبد الله كنون: المرجع السابق، ص 23.

2 عباس الجراري: المرجع السابق، ص 58، 59.

بل لعل مهمته كانت تقضي أن يكتب للجيش ولقائده. وليس هذا بغريب فقد كان مألوفاً أن تكتب للأمرء والوزراء خطبهم ورسائلهم، بل مازلنا اليوم نرى المسؤولين على مختلف طبقاتهم يكتب لهم حين يريدون أن يخطبوا أو يرأسوا، سواء منهم من يعرف اللغة أو يجهلها. ونفي إنشاء الخطبة عن طارق لا يمس إسلامه ولا يطعن في عملية الفتح أو يشكك في حقائق التاريخ كما قد يظن".¹

ومن المصادر التي وردت فيها الخطبة منسوبة إلى طارق تاريخ ابن حبيب المتوفى سنة 239هـ، وكتاب "الإمامة والسياسة" لابن قتيبة المتوفى سنة 276هـ، وفي "سراج الملوك" للطرطوشة المتوفى سنة 520هـ، وفي "ريحان الألباب وريحان الشباب في مراتب الآداب" لأبي محمد عبد الله بن إبراهيم المواعين الأشبيلي وكان معاصراً للموحدين، وفي "وفيات الأعيان" لابن خلكان المتوفى سنة 681هـ، وفي "تحفة الأنفس وشعار أهل الأندلس" لعلي بن عبد الرحمن بن هذيل من كتاب القرن الثامن الهجري.²

هذا، وقد ذهب المؤرخ الشامي شوقي أبو خليل إلى إثباتها، وعلق على هذه الخطبة قائلاً: "يحلو لبعض المعاصرين التحذلق فقالوا: طارق بربري... فلا يعقل مطلقاً أن يخطب خطبة محبوبة فصيحة مثل هذه الخطبة الرائعة، التي وازن فيها في ترغيب سائر أخاذه بين الدين والدنيا. فأني موجب للشك في نسبة هذه الخطبة لطارق، وطارق اشتهر في قومه بالفصاحة....، ماذا يفيد الارتياح في أمر تتشابه دلائل عديدة في مراجعنا وبشكل صريح، علماً أن الأدلة لا تتكامل على نقضه ففي "نفح الطيب" وصف لطارق يقول: "إن طارقاً كان حسن الكلام، ينظم ما يجوز كتبه... علماً أن والد طارق زياد أسلم منذ أيام عقبة بن نافع... لذلك شب طارق في بيت مسلم، لقنه تعاليم الإسلام، أبوه من ناحية، وموسى من ناحية ثانية.

عجبا للأجانب شرفهم وغريهم، إن وجدوا في تاريخهم قصة أو قولاً أو حادثة تنهض بجيلهم، وتثبت في نفوس النشء روحاً وتربطهم بأمتهم وذاتيتهم، صححوها وإن لم يروا إلا مرجعاً واحداً من مراجعهم، بل قد يحتلقون أحداثاً، وينسجون قصصاً يلصقونها برجالهم لما في ذلك من

1عباس الجراري: المرجع السابق، ص66.

2عباس الجراري: نفسه، ص59-64.

مصلحة للجيل وفائدة للنشء، وخير للأمة، وعجبا لنا... ما بالنا؟!، مراجعنا تذكر أن طارق كان حسن الكلام، ينظم ما يجوز كتبه، وترعرع في بيت مسلم يتلى فيه قرآن كريم، ثم يأتينا من يقول: ما أظن، وكان اجتيازه البحر في شهر رجب سنة اثنتين وتسعين هجرية (710م)¹ وعلى العموم، فخطبة طارق بن زياد ثابتة بلا ريب كما رأينا في كتب الأدب والتاريخ بدون الدخول في جدال عقيم لا فائدة منه، كما أن طارق بن زياد قادر ومؤهل لإلقاء هذه الخطبة مادام شاعرا مقلقا ينظم الأشعار ويكتب القريض باعتراف المقرئ صاحب "النفع الطيب"، فإذا كان طارق شاعرا يعترف له بالشاعرية والنبوغ وجودة الإبداع، فما بالك بشاعر يخطب في الناس بنص نثري يخلو من الإيقاع ولا يعتمد إلا على الصور البلاغية وأسلوب التريغيب والترهيب، فإنه من الطبيعي أن يكون شاعرا في خطبته ومقلقا في نصه النثري المسترسل روعة وبيانا.

يتبين لنا من خلال هذا العرض أن طارق بن زياد من أهم أبطال المقاومة الأمازيغية في العصر العربي الوسيط، ومن أهم الفاتحين المسلمين الذين أظهروا شجاعة كبيرة وبلاء عظيما في التحدي والصمود، مما جعله يفتح الأندلس بإيمان صادق بعد انتصاره على لذريق ملك القوط سنة 92هـ، واستطاع بجيشه البربري الذي كان يقوده إلى جانب مجموعة من قادة العرب التوغل في شبه الجزيرة الإيبيرية لنشر الإسلام، وتثبيت العقيدة الربانية السمحة القائمة على اليسر والتعاش والتقوى، وبناء الحضارة الإنسانية التي تجسدت بكل جلاء ووضوح في الكثير من مدن إسبانيا وخاصة في غرناطة وطليطلة.

هذا، ولقد انطلقت الحضارة الغربية من بلاد الأندلس التي فتحها طارق بن زياد لتنتشر إشعاعها الثقافي والفكري والعلمي والفني والتقني في كل ربوع أوروبا المسيحية التي كانت تعيش في الظلمة الحالكة والجهل المطبق في العصور الوسطى.

ويكفي طارق فخرا ومجدا ما كان يجري على لسانه من فصاحة وبلاغة وقدرة على الإبداع ونظم الشعر وقرضه. ولكن سيبقى طارق بن زياد خالدا في صفحات التاريخ بفضل فتحه للأندلس الفيحاء، وبسبب خطبته المشهورة التي حيرت الفصحاء والبلغاء والمبدعين لروعة بياها وجمال أسلوبها

1 محمود شيت خطاب: قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، 1984م، ج1، ص214.

ودقة صورها الفنية، وما تركته من انطباعات رائعة وبصمات خالدة وما خلفته من آثار إيجابية طوال التاريخ العربي.

رابعاً: أسباب سرعة وسهولة فتح الأندلس¹

- كان طارق وجيشه أمة فنية موحدة القوى والقلوب شجاعة بصيرة بالحروب
- براعة القادة وقدرة وحزم الولاة.
- التضحية والجهاد في سبيل نشر الإسلام.
- الاعتماد على النفس بسبب وجود المسلمين في بلاد غربة
- العدل والرحمة والعفة في حكم الشعوب.
- لم يكن للمغانم الدنيوية في نظر المسلمين قيمة.
- الاستبداد بالشعب واستغلاله والظلم من قبل حكام القوط ونفور الأسبان من حكم لذريق.
- انتشار الرق واستقبال الناس للعرب كمنقذين من الظلم.
- القضاء على جيش لذريق فصارت كل مدينة تحاول حماية نفسها بنفسها.

خامساً: مبادئ الحرب التي تم تطبيقها من قبل طارق بن زياد في فتح الأندلس:

- 1- اختيار الهدف والتمسك به: قام طارق بتحديد هدفه بدقة والتفكير في أفضل الطرق لتحقيقه. تجلّى ذلك في عملية العبور والاستمرار في فتح بلاد الأندلس دون تراجع. كان هدفه الرئيسي رفع راية الله، وأظهر ذلك في خطابه الشهير حيث قال: "انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً، ثقة منه بارتياحكم للطعان ومجالدة الأبطال والفرسان ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه في هذه الجزيرة".
- 2- الاستطلاع: قام طارق بإرسال رسالة إلى موسى بن نصير تحتوي على معلومات مفصلة عن الأندلس التي حصل عليها خلال غزوته بقوة قليلة عبر مراكب يوليان.

1 حسين شعيب: "طارق بن زياد، فاتح الأندلس"، شخصيات من التاريخ، دار الفكر العربي، بيروت، ط1،

- 3- استخدام تكتيك الحروب الجبلية: نظم طارق بن زياد السد الاستراتيجي في وادي لكّة، واعتمد على الجبال لتنظيم تكتيك قتالي عميق يمكنهم من مواجهة القوات القوطية المتفوقة. وعندما نجح المسلمون في حسم المعركة، تحركوا شمالاً عبر محاور متوازية بعيداً عن العوائق الجبلية.
 - 4- تجميع القوة: قام طارق بتجميع القوات اللازمة من الرجال والسفن والخيول، وبذلك جمع القوة المادية والمعنوية لمواجهة الأعداء.
 - 5- الاقتصاد في الجهد: حرص طارق على استغلال الموارد وتوجيه الجهود بشكل فعال، وذلك بالمقارنة بين قواته وقوات أعدائه.
 - 6- الاحتياط: قام بتخصيص جزء من قواته كقوة احتياطية، تقدر بحوالي 2000 جندي و5 سفن، لمواجهة أي تطورات غير متوقعة في مواجهة العدو.
 - 7- التعرض (الهجوم): كانت عملياته هجومية، ولم يتبنى موقفاً دفاعياً واحداً، مما ساهم في تحقيق النصر على أعدائه.
 - 8- عبور الموانع المائية: قام بتطبيق مبادئ العبور عبر الموانع المائية المعروفة في الحروب الحديثة، حيث قام بعبور المضيق على مرحلتين. في المرحلة الأولى، قام بالاحتلال الأولي وإرسال 8 سفن و1600 جندي، بالإضافة إلى 800 فرس. وفي المرحلة الثانية، قام بعبور الجسم الرئيسي للمضيق.
 - 9- التعاون والتنسيق: قام طارق بالتعاون مع قوات موسى بن نصير في فتح الأندلس، حيث تنسقوا وعملوا معاً لتحقيق الهدف المشترك.
 - 10- الشؤون الإدارية: أدرك طارق أن نجاح أي خطة عسكرية يتوقف على القدرات الإدارية. لذا، قام بتنظيم عملية العبور وتجهيز جنوده بكل متطلبات القتال الضرورية، والحفاظ على استمرارية تأمين قواته من خلال إدارة فعالة.
- هذه هي المبادئ الحربية التي تم تطبيقها من قبل طارق بن زياد في فتح الأندلس، والتي ساهمت في نجاحه وتحقيقه لأهدافه.
- سادساً: الصفات القيادية لطارق بن زياد من أهم الصفات القيادية التي تمتع بها ما يلي:
- معرفة نفسيات الرؤوسين. لقد تحسس نفسيات رؤوسيه ومزايا كل جندي من جنوده عندما خاطبهم بخطبته المشهورة.

- الشجاعة الشخصية. وقد ظهرت جليا عندما قال مخاطبا جنده: إني لم أحذرکم أمرا أنا عنه بنجوة، ولا حملتکم على خطة أرخص متاع فيها النفوس إلا ابدأ بنفسي. وبذلك ضرب مثلا أعلى وقدوة حسنة في الشجاعة الشخصية لجنوده وكذلك برز عامل العدل وهو من أهم الصفات للقائد لأنه ما ظلمك من ساواك بنفسه.

- التقوى والورع. وهو العمود الفقري للصفات القيادية لطارق حيث تحسس في نفسه علامات الأيمان عندما كان قومه يعبدون الأوثان ووعى حقيقة الإسلام عندما سمع تعاليم الدين الإسلامي من المسلمين الذين وصلوا إلى مشارف بلاد المغرب وتوجه مع بقية الفتية من قومه إلى القائد المسلم موسى بن نصير وأعلن إسلامه.¹

- إنكار الذات. حيث نسب جميع أعماله وفتوحاته إلى موسى بن نصير عندما قال له إنما أنا مولاك وقائد قوادك لم أستطع أن اكبح جماح انتصاري بعد ما هزمت العدو وكل ما فتحت وأصبته فإنما هو منسوب إليك وهذه الصفة من الصفات القيادية والإنسانية التي يجب أن يتمتع بها القائد.

- حسن المعاملة. فلقد تعامل مع اليهود بلطف وسمح لهم بحرية العبادة وقام بتحويل الكنائس إلى مساجد.²

- القابلية البدنية. من المسلم به أن طارق كان يتمتع بلياقة بدنية عالية لأنه نشأ وعاش بين أفراد قبيلته في أعالي جبال أطلس التي كانت تعتمد على الغزو والفروسية وقد نشأ فارسا وأتقن ركوب الخيل وامتاز بقوة الجسم وشدة البأس.

- المثل الأعلى. على القائد أن يكون مثلا أعلى لجنده في جميع الصفات والأعمال حيث يقول طارق لجنوده: "واعلموا إني أول مجيب إلى ما دعوتكم إليه واني عند ملتقى الجمعین حامل بنفسی على طاعة القوم لودريق فقاتله أن شاء الله تعالى فاحملوا معي".

- الكفاءة والمعرفة كان ملما بمهنته كقائد أحسن إلمام وكان على علم تام بفن الحرب وظهر هذا من أسلوبه في عبور المضيق وأسلوبه في تقسيم قواته لمجموعات خلال عملياته المتلاحقة التي أجراها في البر الأسباني بكل نجاح.

1 عبد الرحمن حجي: التاريخ الأندلسي مرجع الساب ق45.

2 انظر التفاصيل في: ابن الأثير مج: 5، ص ص 190 - 194، والبيان المغرب ج1، ص ص 52 - 54.

- الطاعة والولاء. لشخص الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك وموسى بن نصير من خلال تنفيذه لأوامرهما وذهابه مع موسى إلى دمشق امثالاً لأوامر الخليفة.¹

سابعا: وقفة مع الفاتح طارق بن زياد

إن الإنجاز الكبير الذي حققه طارق بن زياد في فتح بلاد الأندلس وحكم المسلمين لها مدة ثمانية قرون لم يستطع العرب الحفاظ عليه بسبب اختلافهم على الحكم وتفرق كلمتهم، ولم يكن ركوب البحر من قبل طارق يتم للمرة الأولى في التاريخ الإسلامي فقد سبقه المسلمون بذلك في معركة ذات الصواري أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان.

إن القائد المسلم طارق بن زياد لم يأخذ حقه الذي يجب أن يناله جزاء فتوحاته فقد أهمله الذين تولوا الخلافة بعد الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بل وأساءوا إليه وإلى موسى بن نصير. لقد صور المؤرخون أن سبب فتح الأندلس هو اغتصاب لذريق لفلورندا ابنة يوليان وفي هذا مغالطة كبيرة فالسبب في هذا الفتح هو نشر الإسلام والخوف من هجوم القوط والفرنجية على بلاد المغرب العربي.²

أثبتت الدراسات العسكرية الحديثة أن إحراق طارق بن زياد للسفن مسألة مشكوك في صحتها كون هذه السفن تعود ملكيتها ليوليان وليس للدولة الإسلامية كما أن الجيش الإسلامي بحاجة إلى هذه السفن لتأمين عودة الجنود إلى بلاد المغرب العربي عند اجتياز المانع المائي، وذلك لأن حرق السفن يخالف (مبدأ الاقتصاد بالقوة، أحد مبادئ الحرب المهمة، ولا يتفق مع المنطق والعقل) وقد كان طارق قائداً حصيفاً ذا مزايا قيادية، لا يتناسب أن يقدم على ذلك العمل المتهور، وطارق كان يبدأ أعماله بالاستطلاع المفصل ليكون على بينة من أمره فلا يضع خطوته إلا في موضع أمين، فهو يعمل دائماً بالنور.

ويخلص القول إلى أن القائد المسلم طارق شخصية عسكرية فذة وقائد محنك شجاع أهله صفاته الشخصية والقيادية وكفاءته الإدارية لقيادة جيش المسلمين في بلاد الأندلس، فلقد ساهم طارق بن زياد مساهمة فعالة في فتح بلاد الأندلس والانتصار على القوط مما أدى إلى حكم هذه

1 ابن الأثير مج: 5، ص 191 ابن عبد الحكم، مصدر السابق، ص 218.

2 البيان المغرب: المصدر السابق، ج 1، ص 224.

البلاد مدة ثمانية قرون متواصلة من قبل المسلمين لا يستطيع أي دارس لسيرته إلا أن يعجب بشخصيته وإنجازاته الحربية فهو جدير بالدراسة والتحليل كأحد القادة البارزين في التاريخ العسكري على مر العصور، فبالعزم والتصميم والذكاء والحنكة استطاع عبور المضيق وفتح الأندلس التي تعرف اليوم بأسبانيا وحقق ما عجز عن تحقيقه رجال عهده.

المبحث الثاني: حملة موسى بن نصير

كانت حملة موسى بن نصير، الفاتح العربي المسلم، واحدة من أبرز الحملات العسكرية التي شهدتها شبه الجزيرة الإيبيرية (الأندلس) في القرن الثامن الميلادي. هذه الحملة، التي بدأت في عام 711م، أدت إلى فتح معظم أجزاء الأندلس وإخضاعها للحكم الإسلامي، مما أسس لحقبة جديدة في تاريخ المنطقة.¹

تعتبر حملة موسى بن نصير حدثاً بارزاً في تاريخ الفتوحات الإسلامية، حيث امتدت جيوشه من شمال أفريقيا عبر مضيق جبل طارق إلى الأراضي الإيبيرية. وبفضل قيادته الحكيمة والشجاعة العسكرية لجنوده، تمكنوا من هزيمة القوى المسيحية الحاكمة آنذاك وفرض السيطرة الإسلامية على معظم أنحاء شبه الجزيرة.²

لم تكن حملة موسى بن نصير مجرد فتح عسكري، بل كانت أيضاً عملية نقل للحضارة والثقافة الإسلامية إلى الأندلس. فقد أحضر المسلمون معهم العلوم والفنون والتقنيات المتقدمة، مما أثرى الحياة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة. وقد ازدهرت الأندلس تحت الحكم الإسلامي، وأصبحت مركزاً للعلم والفلسفة والفنون، جاذبة العلماء والمفكرين من مختلف أنحاء العالم.

أولاً: ترجمة موسى بن نصير

¹ سالم، السيد عبد العزيز: تاريخ البحرية الإسلامية في حوض البحر الأبيض المتوسط البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، مؤسسة شباب، الجامعة الإسكندرية، د.ت، ص 30_34، انظر: طه، عبد الواحد دنون، موسى بن نصير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989، ص 66-67.

² ابن أبي دینار: كتاب المؤنس، مصدر سابق، ص 23؛ خطاب، محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح للطباعة والنشر بيروت، 1966، ص 290.

1- اسمه ونسبة:

أبو عبد الرحمن موسى بن نصير (19 هـ/640 م - 97 هـ/716 م) قائد عسكري عربي لعب دورًا بارزًا في انتشار الإسلام وتوسيع رقعة الدولة الأموية. شارك موسى بن نصير في فتح قبرص في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، ثم أصبح واليًا على إفريقية من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك، واستطاع ببراعة عسكرية أن ينهي نزعات البربر المتوالية للخروج على حكم الأمويين، كما أمر بفتح شبه الجزيرة الإيبيرية، وهو الغزو الذي أسقط حكم مملكة القوط في إسبانيا.¹

2- نشأته:

هناك اختلاف على أصول موسى بن نصير، فقد ذكر ابن بشكول أن اسمه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد،² وذكر بعض المؤرخين أن أباه كان مولى من موالي قبيلة لحم وقيل من صلبها وهو الأرجح،³ وأن أباه كان على حرس معاوية بن أبي سفيان،⁴ وقيل على شرطة معاوية عندما كان واليًا على الشام في خلافة عمر وعثمان، ثم أصبح وصيفًا لعبد العزيز بن مروان، فأعتقه.⁵ وذكر آخرون أنه ينتسب إلى بني بكر بن وائل، وأن أباه نصير كان من الذين أسرههم خالد بن الوليد في معركة عين التمر عام 12 هـ. وذكر آخرون أنه من أراشة من قبيلة بلي سبي أبوه من جبل الخليل من الشام في أيام الصديق، وكان اسم أبيه نصرًا فصغر، أما عن مولده، فقد قال شكيب أرسلان "موسى بن نصير من أهل الحجاز، وُلد في زمان عمر بن الخطاب"، وذكر أنه ولد موسى في عام 19 هـ.⁶ في عهد معاوية بن أبي سفيان، تولى موسى قيادة غزو قبرص. وفي عام 73 هـ، نقل عبد الملك بن مروان أخيه بشر من قيادة جند مصر إلى البصرة، وعينه واليًا عليها. فأخذ بشر موسى معه لمعاونته، وعينه على خراج البصرة. ولما ولي الحجاج البصرة، اتهم موسى باختلاس أموال خراج البصرة، فغضب عليه

1 عنان محمد عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس، ج 1. مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 5.

2 ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ج 15، ص 667.

3 فليب حتى: تاريخ العرب المطول، ج 2 ص 76.

4 ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دار الكتب

العلمية، بيروت.

5 ابن الأثير: مصدر السابق، مج 2 ص 395.

6 مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 14.

الخليفة عبد الملك بن مروان وأغرّمه، ولم ينقذه من هذا الاتهام سوى عبد العزيز بن مروان، الذي تحمّل نصف الغرامة المالية، وأخذه معه لولايته في مصر.¹

3- ولايته لإفريقية:

بعد أن لحق بعبد العزيز بن مروان في مصر، وجهه عبد العزيز عام 84 هـ بحملة على برقة، فغنم منها وسبى. ثم ولى عبد العزيز بن مروان والي مصر موسى بن نصير على إفريقية خلفاً لحسان بن النعمان عام 78 هـ وقيل عام 86 هـ أو 89 هـ في خلافة الوليد بن عبد الملك استطاع موسى أن يخذل ثورات البربر المتعاقبة، ويعيد فتح المناطق التي كان البربر قد انتزعوها من المسلمين بعد فتحها أول مرة، وبعث بالغنائم إلى عبد العزيز الذي بعثها بدوره إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فسكن غضب عبد الملك على موسى. وقد اهتم موسى بنشر الإسلام بين البربر ومسالمتهم واستمالة رؤوسهم، ليضمن ألا ينزعوا للثورة مجدداً، فانضم إلى جيشه الآلاف منهم بعد إسلامهم.²

ونظراً للجوء البيزنطيين للغزوات البحرية بعد أن خسروا معاركهم البرية، شرع موسى في بناء دار صناعة قرب أطلال قرطاجنة لبناء أسطول قوي لحماية الثغور. وفي عام 89 هـ، وجه موسى ابنه عبد الله لغزو جزر البليار، فافتتح ميورقة ومنورقة، كما أرسل حملات لغزو سرديانية وصقلية، عادت حملة بالغنائم. كما استطاع فتح طنجة، ولم يبق بذلك في المغرب الأقصى سوى سبتة التي كانت تحت حكم يوليان القوطي.³

4- فتح الأندلس

في عام 90 هـ، راسل الكونت يوليان موسى بن نصير وقيل قائده في طنجة طارق بن زياد يدعو المسلمين لغزو الأندلس، لعداوة بينه وبين رودريك ملك القوط. فكتب موسى للوليد يخبره

1 ابن عذاري أبو العباس أحمد بن محمد: بيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب، دار الثقافة، بيروت

ص.

2: ولد علي حنان، شتوان تركية: الفتوحات الإسلامية في ما وراء جبال البرنية في الأندلس في عصر الولاة (95هـ/138هـ/714م/757م)، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، 1ش: د/ كوريب عبد الرحمان، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020م/2021م، ص ص 14، 15.

3 البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي: فتوح البلدان، مطبعة الموسوعات بالقاهرة.

بدعوة يوليان، فأمره باختبارها بالسرايا، ولا يغرر بالمسلمين بخوض بحر شديد الأهوال. إلا أن موسى طمأنه بأنه ليس بحرًا وإنما خليج، فرد الوليد بأنه وإن كان خليجًا اختبره بالسرايا. فأرسل موسى في رمضان 91 هـ سرية من 400 مقاتل ومائة فارس بقيادة طريف بن مالك، فنزلوا جزيرة سميت بعد ذلك بجزيرة طريف، أصابت مغام كثيرة.¹

عندئذ، جهز موسى جيشًا من 7,000 مقاتل معظمه من البربر وولى قيادته طارق بن زياد، وأمره بالعبور للأندلس عام 92 هـ. فجاز طارق بجنوده في 5 رجب 92 هـ إلى موضع الجبل الذي ينسب إليه اليوم. وحين بلغ رودريك خبر جيش طارق جمع جيشًا عظيمًا بلغ نحو مائة ألف مقاتل، وزحف به من عاصمته طليطلة. وحين بلغ طارق خبر حجم حشود رودريك، استمد موسى فأمره بخمسة² آلاف مقاتل، ليصبح جيشه 12,000 مقاتل. والتقى الجيشان في 28 رمضان 92 هـ/17 يوليو 711 م قرب شذونة جنوب بحيرة خندة عند وادي لكّة، فهزم المسلمون جيش رودريك، وفر رودريك ولم يظهر مرة أخرى. ثم قسم طارق جيشه فبعث مغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك في سبعمائة فارس إلى قرطبة، وأرسل مجموعات أخرى إلى البيرة ورية، وتوجه هو بباقي الجيش إلى طليطلة. نجحت مجموعات قرطبة والبيرة ورية في فتح تلك المناطق، كما دارت معركة صغيرة بين المسلمين والقوط في تدمير، نتج عنها معاهدة بين المسلمين وقائد القوط ثيوديمير.

أرسل طارق إلى موسى يُعلمه بالفتح. فأرسل موسى إلى الوليد بن عبد الملك يشره، وإلى طارق يأمره بأن لا يستكمل الفتح ويبقى بقرطبة حتى يلحق به.³ ثم استخلف موسى ابنه عبد الله على القيروان، وعبر إلى الأندلس في رجب 93 هـ. بعد نزوله الأندلس، سلك موسى طريقًا غير الذي سلكه طارق، وافتتح مدن شذونة وقرمونة وإشبيلية وباجة وماردة. ثم ثار أهل إشبيلية على حاميتها من المسلمين وقتلوهم، فأرسل لهم موسى ولده عبد العزيز فأعاد فتحها، ومنها افتتح عبد

¹ مؤلف مجهول: تحقيق: إبراهيم الإياري، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب

البناني، بيروت.

² مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص14.

³ ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله: قدوة الغازي، دراسة: عائشة السليماني، دار الغرب الإسلامي،

بيروت، 1989، ص165.

العزير لبله. ثم سار موسى يريد دخول طليطلة، فلقيه طارق في طلبيرة، وأنبه على مخالفته له في بعض الأمور ثم سارا معًا إلى طليطلة، ثم أرسل من افتتح سرقسطة ومدنًا.¹

وفي عام 95 هـ، جاءت رسل الخليفة الوليد تدعو موسى بالقدوم عليه، فخرج موسى ومعه طارق بن زياد ومغيث الرومي يريدون دمشق، واستخلف ولده عبد العزيز مكانه الذي اتخذ من إشبيلية قاعدة له. ووفد موسى ومعه طارق على الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد وفاة الوليد عام 96 هـ. وتقول الروايات العربية، أن سليمان راسل موسى يطالبه بأن يتأني في القدوم، رغبة منه في أن يدخل عليه في صدر خلافته، وقد كان الوليد في مرض موته، إلا أن موسى رفض، وجدّ في السير، وهنا تختلف الروايات فبعضها يقول بأنه أن أدرك الوليد قبل موته، والبعض يقول إنه وصل دمشق بعد أن أصبح سليمان خليفة. وعند قدوم موسى على سليمان، أمر سليمان بعزله واتهمه باختلاس أموال وسجنه وأغرمه، ولم ينقذه سوى شفاعة يزيد بن المهلب الذي كانت له حظوة عند سليمان.²

5- وفاته وشخصيته:

قال عنه ابن خلكان: «كان عاقلاً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله تعالى، لم يُهزم له جيش قط». ويعد موسى بن نصير من التابعين، وقد روى عن تميم الداري، وروى عنه يزيد بن مسروق اليحصبي. وقد خرج مع الخليفة سليمان بن عبد الملك للحج عام 97 هـ، ومات في الطريق في وادي القرى أو بمر الظهران، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك. وإلى جانب مواهبه العسكرية والإدارية، كان موسى بليغاً في النثر والنظم.³

6- أهم فتوحاته:

1 ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج1، ص42، خطاب، قادة فتح المغرب، مرجع سابق ص288.

2 ابن أبي زمنين أبو عبد الله محمد بن عبد الله: مصدر السابق، ص165.

3 ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة، 1937، ج

2، ص144؛ الحميدي، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي (ت 488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، 1966، ص317.

لا يتفق المؤرخون على تاريخ محدد لتولية موسى بن نصير على المغرب وعزل حسان بن النعمان عنه، ولكن الأقرب إلى تسلسل الأحداث أن يكون عزل حسان وتولية موسى بن نصير في سنة 85 هـ، قبيل وفاة عبد العزيز بن مروان، والذي ينسب إليه المؤرخون عزل حسان وتولية موسى، وبعد أن عزل عبد العزيز بن مروان والي مصر¹

حسان بن النعمان والي إفريقية ولّى مكانه موسى بن نصير، وكان في أواخر سنة خمس وثمانين الهجرية أو في أوائل سنة ست وثمانين الهجرية، وعندما توافدت الجيوش، قام موسى بن نصير خطيباً، فكان مما قاله: وإنما أنا رجل كأحدكم، فمن رأى مني حسنة، فليحمد الله، وليحض على مثلها، ومن رأى مني سيئة، فليذكرها، فإني أخطأ كما تخطئون، وأصيب كما تصيبون، وقد أمر الأمير أكرمه الله لكم بعطايكم وتضعيفها ثلاثاً، فخذوها هنيئاً مريئاً، من كانت له حاجة فليرفعها إلينا، وله عندنا قضائوها على ما عَزَّ وهان، مع المواساة إن شاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.²

وهكذا أنجز موسى قبل أن يدخل إفريقية حشد جيشه، وأكمل تحضيراته الإدارية، وسأوى نفسه برجاله، وسار موسى متوجهاً إلى الغرب، وكان الأمن غير مستتب، فلما وصل إفريقية برز موسى بن نصير قائداً منتصراً في فتح المغرب، ويرجع ذلك إلى السياسة التي اتبعها مع الأهالي، وهي سياسة التعاون والاندماج الكلي مع البربر، فحين كان يقدم على موسى وفود القبائل ليعلموا ولاءهم كان يولي عليهم رجالاً منهم، ويأخذ رهائن من خيارهم لضمان هذا الولاء، كما فعل مع وفد كتامة ومع وفد مصمودة وغيرهم، ولكن ما أن يعتنق البربر الإسلام، كان موسى يقر زعماءهم في الرئاسة مقابل مساهمة كل قبيلة بعدد كافٍ من المقاتلين للانضمام للمقاتلة العرب. وأعطت سياسة التفاهم هذه ثمارها، فقد استطاع موسى أن يجند أعداداً كبيرة من قبائل البربر مثل كتامة وهوارة وزناتة ومصمودة، وألحق موسى بن نصير هؤلاء المقاتلة من البربر مع جراوة الذين كانوا قد جندوا في عهد

¹ ابن هذيل، علي بن عبد الرحمن بن هذيل الغرناطي: حلية الفرسان وشعار الشجعان، تح: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، القاهرة، 1951، ص 94، ص 109-110.

² الكندي، كتاب الولاية وكتاب القضاة، ته وتص: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، 1908، ص 60-61؛ طه ذنون، موسى بن نصير، ص 80-81.

حسان، ووضعهم جميعاً في حامية طنجة تحت قيادة طارق بن زياد الذي وليها سنة 90 هـ من قبل موسى بن نصير.¹

ومن الوسائل التي استخدمها موسى في تأليف القلوب وضبط الأمور، وتقوية الدولة الإسلامية:

أ- عتق بعض السبايا:²

كان موسى بن نصير يعتق بعض سباياهم ويتولاهم في نطاق خطته لتشجيع البربر على الدخول في الإسلام، فكان يشتري من السبايا من كان في ظنه أن يقبل الإسلام.³

ب- تطبيق مبدأ المساواة:

فقد ساوى في النفل بين البربر المسلمين والعرب الذين أبلوا بلاء حسناً، وذلك تشجيعاً وتقديراً لبلائهم، وبهذا التصرف تمكن موسى من جلب أعداد كبيرة إلى الإسلام وإشراكهم في الجيش الإسلامي.⁴

ج- التنظيم الإداري:

ويبدو أن موسى بن نصير حين دخل إفريقية وجدها في حاجة ماسة إلى إدارة مستقرة، فقد انفردت كل قبيلة بربرية بناحياتها، واستبدت بها دون أن تخضع لولاة أو عمال، فأخذ موسى يعمل على إخضاع كل المغرب إلى الحكم الإسلامي، فبدأ ينقل البيزنطيين من المدن الساحلية والنواحي الداخلية، وأسكنهم قرب مراكز الحكم الإسلامي مما يتيح للمسلمين مراقبتهم ودعوتهم وتعليمهم.⁵

د- تكوين القوة البحرية:

1 الكندي: كتاب الولاة، مصدر سابق؛ ص 62.

2 فؤاد سزكين: تاريخ التراث العربي، (الأجزاء 8، 2، 1)، تر: محمود فهمي حجازي، عرفة مصطفى، مج 11، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1983 - 1991 م.

3 ول ديورانت: قصة الحضارة، تر: زكي نجيب محمود، 378/13، دار الجيل، بيروت، 1988 م.

4 الصفدي: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000 م، ج 1، ص 147.

5 محمد سليمان: مرجع سابق ص 21.

أنشأ حسان بن النعمان دار صناعة السفن بتونس، ثم استكملها بعده موسى بن نصير وعبيد الله بن الحباب، ويذكر أنه صنع بها مراكب مما مكنه من غزو صقلية.¹

هـ- سك النقود:

لقد سك موسى بن نصير في افريقية عملة اسلامية واستبدل عبارات الدينار البيزنطي بعبارات إسلامية فحُزب الدينار بعبارة التوحيد لا اله الا الله في وجه العملة، وعلى الظهر محمد رسول الله.² واستعمل هذه العملة الافريقية في الأندلس عند دخول المسلمين لها وقد سك موسى بن نصير اول عملة اسلامية بالأندلس من بينها دنانير ذهبية ونحاسية.³

7- عبور موسى بن نصير إلى الأندلس

كان موسى بن نصير من التابعين . رحمهم الله تعالى . وقد روى عن تميم الداري رضي الله عنه، وكان عالماً كريماً شجاعاً ورعاً تقياً لله تعالى، وكان من رجال العلم حزمًا ورأيًا وهمةً ونبلاً وشجاعة وإقداماً، وكان حين وجّه طارقاً لفتح الأندلس كان يتلقى الأخبار ويراقب الأحداث، منذ بدايتها، ويهيئ المتطلبات لإنجاز هذا الفتح الكبير، بحمة المؤمن وإخلاص التقي، ويدعو الله أن ينزل نصره على المسلمين.

وكان موسى بن نصير يعتقد اعتقاداً كبيراً في أهمية الدعاء والتضرع لتحقيق النصر على الأعداء، ويعتبر الدعاء من أسباب النصر التي أرشد إليها القرآن الكريم ومارسها رسول الله ﷺ. يقول ابن الكردبوس: وكان موسى بن نصير حين أنفذ طارقاً مكبّاً على الدعاء والبكاء والتضرع لله تعالى، والابتهاال إليه في أن ينصر جيش المسلمين، وما عُلم أنه هزم له جيش قط.⁴

1 السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج6، ص70.

2 محمد الباقر الحسيني: النقود العربية الاسلامية، دارالحرية للطباعة، بغداد، 1985، ص 73 ص 74.

3. طه ذنون: موسى بن نصير، مرجع سابق، ص 79.

4 ابن عبد الحكم: فتوح أفريقيا والأندلس، تح: عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص 8.

وكان طارق بن زياد على صلة بقائده موسى بن نصير، يفتح الفتوحات باسمه وبتعليماته، ويخبره عن كل شيء أولاً بأول منذ بداية الفتح، ويستشيريه فيما يحتاج إليه، وقد رأينا كيف طلب المدد قبل معركة وادي لكه، وكان موسى على علم تام بأحوال الفتح.¹

وبعد سنة تقريباً من عبور طارق، وتفرق جيشه وتوزيعه على المناطق والمدن التي فتحت . خاف طارق أن يُغلب، وأن يستغل القوط قلة جيشه، فأرسل إلى موسى يستنجد، واستخلف موسى على القيروان ولده عبد الله.. ونهض من القيروان سنة ثلاث وتسعين من الهجرة في عسكر ضخم، وتحرك موسى بجيشه نحو شزونة؛ فكانت أول فتوحاته، ثم توجه إلى مدينة قرونة وليس بالأندلس أحصن منها، ولا أبعد على من يرموها بحصار أو قتال، فدخلها بحيلة توجهت بأصحاب يُليان، دخلوا إليهم كأنهم فُلال، وطرقهم موسى بخيله ليلاً ففتحوها لهم الباب، وأوقعوا بالأحراس، فملكوا المدينة فافتتحها.²

وتوجه بعد ذلك: إلى إشبيلية جارتها، فحاصرها وهي أعظم مدائن الأندلس... فامتنت شهرًا على موسى ثم فتحها الله عليه، ثم سار إلى مدينة ماردة وفتح في طريقه إليها لُبلة وباجة، ثم فتح ماردة صلحاً بعد قتال وجهاد عظيم، وأقام موسى في ماردة زيادة على شهر يرتب أحوالها وينظم أمورها ويريح الجند من العناء ويستعد لاستئناف السير، ووجه موسى ابنه عبد العزيز من ماردة إلى إشبيلية، وكانت فلول القوط من لبلة وباجة قد اجتمعت فيها وقتلوا العديد من المسلمين، منتهزين فرصة انشغال موسى بحصار ماردة، وبلغه الخبر خلال الحصار، فأعاد عبد العزيز فتح إشبيلية ثم فتح لبلة وباجة، وأصبحت المدن والقرى تتساقط أمام جيوش الفاتحين كتساقط الأوراق من على الأشجار في فصل الخريف.³

ثانياً- لقاء موسى وطارق:

1 ابن أبي دينار: كتاب المؤنس، ص23؛ خطاب، محمود شيت: قادة فتح المغرب العربي، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، 1966، ص290.

2 مجهول مؤلف: مصدر سابق، ص27؛ المقري: أحمد بن محمد: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر 1، ص276؛ طه ذنون، موسى بن نصير، ص129.

3أبن قتيبة أبو محمد عبد الله بن مسلم: الإمامة والسياسة، القاهرة، 1377هـ/1975، ص ص160-161.

في بداية ذي القعدة سنة 94 هـ ابتدأ موسى بالسير صوب طليطلة، وكتب إلى طارق بالتوجه إليه في مجموعة من جيشه، ثم جاءه طارق. ذكر البعض أن لقاءهما كان عند طليطلة أو قرطبة، ورجح الدكتور الحجي العالم البارز في تاريخ الأندلس: بأن اللقاء كان خارج مدينة طليطلة التي تبعد 150 كم غرب طليطلة.

ووصل موسى وطارق إلى طليطلة في ذي القعدة أو ذي الحجة أو آخر سنة 94 هـ، وأقاما بالجيش الإسلامي فصل الشتاء أو جله في طليطلة يرتبون أحوالها وينظمون شؤونها، ويستريحون ويتهيؤون ويخططون لفتح شمال شبه الجزيرة الإيبيرية، وكتب موسى والقادة الآخرون إلى الخليفة الوليد. وربما ليس لأول مرة. أخبار الفتح، وضربت العملة الإسلامية لأول مرة في الأندلس، وقام بالدعوة إلى الله وتعليم الناس حقائق الإسلام وشرحه لهم ودعوتهم إليه بعد أن راه أهل البلاد عملياً في خلق الفاتحين. ولعلمهم أرسلوا فرقاً إلى بعض المناطق، فقد كان طارق خبر أحوال طليطلة لاسيما شمالها، إذ كان قد وصل إلى مدينة المائدة (في منطقة وادي الحجرة).¹

وأما ما تحدثت عنه المصادر عن قصة الخلاف الذي قيل: إنه حدث بين القائدين الكبيرين موسى وطارق، وتبالغ هذه المصادر فترجع أمر هذا الخلاف إلى حسد دبّ في نفس موسى على مولاه طارق، وعلى ما حققه من نجاح، وتنسب إلى موسى أنه أهان طارقاً بأن وضع السوط على رأسه، فهذه روايات ناقشها عدد من الباحثين وأبانوا ضعفها وسقوطها وتفاهتها، كمحمود شيت خطاب، وعبد الله عنان، ود. عبد الرحمن الحجي، ود. محمد بطاينة، ود. عبد الشافي محمد عبد اللطيف، وغيرهم، وإن كان حدث شيء فلا يعدو أن يكون مناقشة القضايا أو استفهامه من طارق خطته وإبداء الملاحظات عليها، تخوفاً من الأذى، وعندما استفسر موسى من طارق عن سبب الإيغال والتفحم في بلاد العدو، اعتذر إليه طارق بخطته العسكرية أمام الظروف المحيطة والضرورة الداعية لأسلوبه، وقبل موسى عذره. وسارا بعده سوية إخوة مجاهدين، ينشرون دين الله ويعلنون كلمته

1 الحسيني محمد باقر: النقود العربية الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985، ص 63-64.

ويبلغون للناس شريعته، كما لا ننسى أن طارقاً جندي من جنود موسى، والانتصارات التي حققها طارق إنجازات تكتب في صفحة موسى القيادية.¹

وعند انتهاء الشتاء وحلول الربيع سنة 95 هـ تهيأ الجيش الإسلامي لترك طليطلة، ثم أوغل شمالاً ففتح مدن لا ردة ووسقة وتركونه وبرشلونة، كما فتح بلنسية وطرطوشة على الساحل الشرقي للأندلس، وفي هذا الوقت وصل مغيث الرومي مبعوثاً من جانب الخليفة الوليد بن عبد الملك يحمل إلى موسى بن نصير أمر الخليفة بالقدوم إلى دمشق، ولكن فتح الأندلس لم يكن قد اكتمل بعد، لذلك لطف موسى مغيثاً وسأله إنظاره إلى أن ينفذ عزمه في دخول بلاد جليدية وأشتوريت، ويكمل فتح الأندلس ويكون مغيث شريكه في الأجر والغنيمة . أي يصبح له سهماً في القيمة . ففعل مغيث ومشى في ركاب موسى إلى جليدية والأشوري ففتحها، وتعقب موسى وطارق فلول القوط حتى اضطرّ هؤلاء إلى الفرار إلى جبال كنبرية في أقصى الشمال الغربي من الأندلس .

ولما تأخرت أخبار موسى قلق الخليفة الوليد على مصير الجيش الذي مضى على وجوده في البعوث ما يقارب أربع سنين، لذلك أرسل الوليد رسولاً ثانياً، فوصل الرسول الأندلس وموسى في مدينة لك بجليقيه يُوجّه السرايا والبعوث التي بلغت صخرة بلاك التي تقع في الشمال الغربي على البحر الأخضر . خليج بسقاي .² من المحيط الأطلسي، فاستجاب موسى إلى الرسول وعاد إلى طليطلة، ثم غادرها إلى قرطبة، ومنها إلى إشبيلية حيث استخلف فيها ولده عبد العزيز والياً، واتخذ منها عاصمة للبلاد، ولكن إشبيلية لم تمكث طويلاً عاصمة للبلاد وإنما استعير عنها بقرطبة منذ عام 97 هـ، وظلت قرطبة مركز الديار الأندلسية حتى نهاية عهد الخلافة في الأندلس، ويبدو أن موسى اختار إشبيلية عاصمة في هذه المرحلة من تاريخ الأندلس لوقوع إشبيلية في منطقة تتساوى عندها احتمالات الخطر والسلامة، وواجبات الحفاظ على البلاد وحمايتها، فهي لم تخرج إلى الأطراف بعيداً عن الوسط، ولم تقترب من خطوط المواجهة مع الأعداء بعيداً عن بلاد المغرب وإمداداتها.³

¹عبيد الله بن صالح، نص جديد عن فتح العرب للمغرب، تح: ليفي بروفنسال، تر: حسين مؤنس، صحيفة العهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج2، 1954، العدد 1-2، مدريد، ص ص215-216.

² عبد الله بن صالح، المرجع السابق، ص 300.

³ مفتاح محمد دياب: مقدمة في تاريخ العلوم في الحضارة الإسلامية، ص71.

1- رجوع موسى إلى عاصمة الخلافة دمشق:

غادر ركب موسى وطارق بن زياد الأندلس في ذي الحجة عام 95 هـ يحمل معه الأسرى والغنائم الوفيرة والهدايا الثمينة وغيرها من الكنوز، فلما بلغ طنجة ترك ابنه عبد الملك فيها حاكماً، ثم انصرف منها إلى القيروان، فأقرّ ابنه عبد الله الذي كان قد استخلفه في أثناء غيابه في الأندلس، ثم سار من هناك يريد دمشق، فوصلها في عام 96 هـ قبل وفاة الوليد. وقيل: إن سليمان بن عبد الملك بعث إلى موسى بن نصير ألا يدخل دمشق؛ يريد أن ينتظر وفاة أخيه الوليد بن عبد الملك، ثم يدخلها، فتكون علامات الفتح ودلائل النصر من الأسرى والغنائم والهدايا فاتحة عهده، فيعظم مقامه عند الناس، ولكن موسى خالف سليمان ودخل، فلما ولي سليمان الخلافة حقد على موسى وعزله وحبسه وأغرمه أموالاً كثيرة.

ويبدو أن تدخل يزيد بن المهلب وعمر بن عبد العزيز لصالح موسى، لدى سليمان بن عبد الملك أثمر عن رضا سليمان عن موسى، وأصبح فيما بعد عظيم المنزلة، وكان سليمان يستشيريه في بعض الأمور العسكرية، كما هو الحال في الخطة العسكرية الواجب اتباعها في سير الحملة المتجهة إلى القسطنطينية، كما أن سليمان كان يخرج إلى بعض أمواله متنزهاً وبرفقتة موسى بن نصير.

ويبدو أن سعة البلاد التي صارت إلى نظر موسى وتحت سلطانه وكانت تمتد من غرب مصر إلى جنوب فرنسا، وقيام موسى بتوزيع الحكم فيها على أبنائه، كان مما يثير الشكوك في نفوس أولي الأمر، لذلك بادر سليمان حرصاً على وحدة الدولة وسلامتها من الانقسام إلى عزل موسى بن نصير عما كان تحت يده من الأعمال.¹

ومن الأسباب التي ذكرت في سبب استدعاء موسى إلى دمشق تخوُّف الوليد على المسلمين أن يكونوا في أرض منقطعة، ومحاطة بمناطق غير إسلامية وعلى اتصال بها، هي أقرب إليها من العالم الإسلامي أو مراكز ارتباطه واستمداده، وهو الذي رأيناه عارض فتح الأندلس خوفاً على المسلمين أن يخوضوا المخاطر ويركبوا المهالك؛ حتى يَبَيَّن له موسى ألا داعي للخوف

¹ جورج كاستلان: تاريخ الجيوش، تر: كمال دسوقي، تع: عبد الرزاق زكي، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، 1956،

ويرى الكثير من المؤرخين أن موسى بن نصير لم يكن يعتزم التوقف في فتوحاته عند هذا الحد، وإنما كان يخطط لعبور جبال البرانس واجتياح أوروبية كلها والوصول إلى القسطنطينية وفتحها من جهة الغرب، لولا أن استدعاه الخليفة الوليد إلى دمشق وأمره بالتوقف بالفتح عند هذا الحد.¹

ويؤكد المؤرخون أنه لو قد قدر لموسى بن نصير أن يمضي قدماً في مشروعه هذا لتغير شكل النظام الدولي تماماً، ولقضى على القوى غير الإسلامية، ذلك أنهم باستقراءهم النظام الدولي وقتئذ؛ فإنهم يؤكدون أن احتمالات نجاح مشروعه هذا كانت عالية جداً، إذ لم تكن الظروف مواتية لنجاحه مثلما كانت مواتية وقتها، فمملكة الفرنجة كانت مشغولة وقتها بصراعاتها مع الممالك الأخرى، ولم يكن هناك كيان سياسي واحد في أوروبية كلها يعادل قوة الدولة الإسلامية أو حتى بدايته ويشير هؤلاء المؤرخون إلى أنه لما قدر للمسلمين في هذه المنطقة قائد كفء بعد عشرين عاماً من ضياع هذه الفرصة كانت الظروف الدولية قد تغيرت لغير صالح المسلمين، فلما حاول هذا القائد إحياء مشروع موسى بن نصير هزم هزيمة ضخمة تدخل في تاريخ العلاقات الدولية بوصفها نقطة تحول؛ وهي معركة بلاط الشهداء²

وقد تكرست الآثار السلبية لعدم استكمال موسى بن نصير لمشروعه بفشل حصار المسلمين للقسطنطينية بعد ذلك بسنوات قليلة، وهو ما أغلق أوروبية أمام المسلمين من الشرق بعد أن كانت قد أغلقت أمامهم من الغرب، ولقد فشل المحللون في تفسير سبب استدعاء الخليفة الوليد لموسى بن نصير، فبعضهم قائل: إنه أشفق على المسلمين من مخاطر هذا المشروع البحري، وبعضهم الآخر يؤكد أن الخليفة إنما خاف على سلطانه من تصاعد نفوذ وقوة موسى بن نصير، وسواء صحت هذه التفسيرات أو أخطأت، فإن ما حدث بالفعل بعد استدعاء موسى بن نصير إلى دمشق، هو تفويض هدف مصيري للأمة أضاعت فيه فرصة ثمينة في فتح أوروبية وجعلها تحت نفوذ الدولة الإسلامية.³

2- استخلاف عبد العزيز بن موسى واستكمال الفتح الأندلس

1 الصفدي، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، 2000م، ج1، ص147.

2 ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج2، ص66.

3 ابن قتيبة: نفسه، ص187.

عبد العزيز بن موسى بن نصير ثاني ولاية الدولة الأموية في الأندلس خلفاً لوالده موسى بن نصير أول ولايتها، كما أنه أحد القادة الذين شاركوا في الفتح الإسلامي للأندلس.

أ- تحت قيادة أبيه:

في عهد ولاية أبيه على الأندلس، ثار أهل إشبيلية على حاميتها من المسلمين وقتلوهم، فأرسله موسى بن نصير إلى إشبيلية، فأعاد فتحها، ومنها افتتح لبله، وغيرها من المعقل والحصون في منطقة الساحل الواقعة بين مالقة وبلنسية. كان من بين المناطق التي افتتحها عبد العزيز بن موسى في تلك الفترة، كورة تدمير التي صالحها أهلها وعقد مع حاكمها القوطي سيوديني معاهدة، عرفت باسم معاهدة أروله، والتي أعطت الحق للقوط الغربيين المسيحيين بممارسة شعائر دينهم، ما داموا يحافظون على عهدهم مع المسلمين، ويدفعون الجزية.¹

ب- ولايته على الأندلس:

وفي عام 95 هـ، استدعى الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير وطارق بن زياد إلى دمشق، فاستخلف موسى ابنه عبد العزيز على الأندلس، واتخذ عبد العزيز من إشبيلية قاعدة له. وقد استكمل عبد العزيز افتتاح باقي الأندلس، وضبط شئونه إدارياً، وحصّن ثغوره.

تزوج عبد العزيز من امرأة مسيحية من أشراف القوط، زعم ابن عبد الحكم والواقدي أنها ابنة روديك. فيما زعم صاحب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وابن عذاري أنها زوجة روديك، وكنّاها بأم عاصم. ذكر المؤرخون أن امرأته ألبته على قومه، مما أثار حفيظتهم. كما ثارت شائعات أنه تنصّر، فاتفق جماعة من بينهم زياد بن النابغة التميمي وحبيب بن أبي عبيدة الفهري وزياد بن غذرة البلوي على قتله، فاغتاله زياد التميمي وقيل زياد البلوي وهو يصلي بمسجد، يسمى بمسجد ربينه في إشبيلية. وقال ابن عذاري، أنهم ما قتلوه إلا بأمر من الخليفة سليمان بن عبد الملك بعد أن نكب موسى بن نصير.²

1محمود شيت الخطاب: مرجع سابق، ص، 29 ص30.

2زينب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب واندلس، دار الامير، ط1، ج2، ص79.

الخلاصة

بعد دراستي لموضوع "فتح الأندلس: أسباب ومراحل"، يتضح لنا مدى أهمية هذا الحدث التاريخي الكبير وتأثيراته العميقة على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية في شبه الجزيرة الإيبيرية وأوروبا بشكل عام.

فمن خلال تحليل الأسباب والدوافع وراء الفتح، نجد أن هناك مجموعة من العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية التي دفعت المسلمين إلى التوجه نحو فتح الأندلس. كما تم استعراض مراحل الفتح بدءًا من الاستطلاع والاستكشاف، ومرورًا بالحملات العسكرية لقادة بارزين أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير، وانتهاءً بفتح شبه الجزيرة الأيبيرية بأكملها على يد المسلمين. ولا شك أن هذا الإنجاز العسكري والسياسي الكبير لم يكن ليتحقق لولا جهود القادة والجنود المسلمين البارزين، الذين تحلوا بالشجاعة والحنكة العسكرية والإرادة القوية في مواجهة التحديات والصعوبات التي واجهتهم.

وقد كان لفتح الأندلس آثار واسعة النطاق على مختلف الأصعدة. فعلى الصعيد السياسي، أدى إلى توسيع رقعة الدولة الإسلامية وإضافة منطقة استراتيجية هامة إلى نفوذها. كما شهدت المنطقة ازدهارًا اقتصاديًا كبيرًا، حيث أصبحت مركزًا تجاريًا رئيسيًا وساهمت في تطوير العديد من الصناعات والأنشطة الاقتصادية.

ومن الناحية الثقافية والحضارية، كان لفتح الأندلس أثرًا عميقًا في تعزيز التبادل الحضاري بين الشرق والغرب، حيث شهدت المنطقة ازدهارًا في مجالات العلوم والفنون والآداب والعمارة. كما ساهم في نشر الثقافة والحضارة الإسلامية في أوروبا وتعزيز التفاعل والتواصل بين الحضارات المختلفة. ختامًا، يمكننا القول إن فتح الأندلس يعد حدثًا تاريخيًا بارزًا له تأثيرات عميقة ومستمرة حتى يومنا هذا. وعلى الرغم من الجهود البحثية المكثفة في هذا المجال، إلا أن هناك حاجة دائمة لمزيد من الدراسات والأبحاث لفهم هذا الحدث بشكل أكثر عمقًا وشمولية، وتقييم آثاره وانعكاساته على مختلف الأصعدة بشكل أدق.

- ملخص للنتائج الرئيسية للدراسة:

1. تعددت الأسباب والدوافع وراء فتح الأندلس، بما في ذلك العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية.
2. تم فتح الأندلس على مراحل متعددة، بدءًا من الاستطلاع والاستكشاف، ثم الحملات العسكرية لقادة أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير.
3. ساهم عدد من القادة والجنود المسلمين البارزين بشكل كبير في إنجاح عملية الفتح من خلال شجاعتهم وحنكتهم العسكرية.
4. كان لفتح الأندلس آثار واسعة النطاق على الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية في المنطقة وأوروبا.
5. عزز الفتح التبادل الحضاري والتفاعل بين الشرق والغرب، ونشر الثقافة والحضارة الإسلامية في أوروبا.

- الدروس والعبر المستفادة:

1. أهمية دراسة التاريخ والاستفادة من دروسه وعبره لفهم الحاضر والتخطيط للمستقبل.
2. قوة الإرادة والعزيمة والتخطيط الجيد هي العوامل الرئيسية وراء نجاح العمليات العسكرية والسياسية الكبرى.
3. التنوع الثقافي والتبادل الحضاري بين الشعوب يساهم في الازدهار والتقدم للجميع.
4. أهمية احترام التعددية والتسامح والانفتاح على الآخر لتعزيز التفاهم والتعاون بين الحضارات.

- آفاق البحث المستقبلية في هذا المجال:

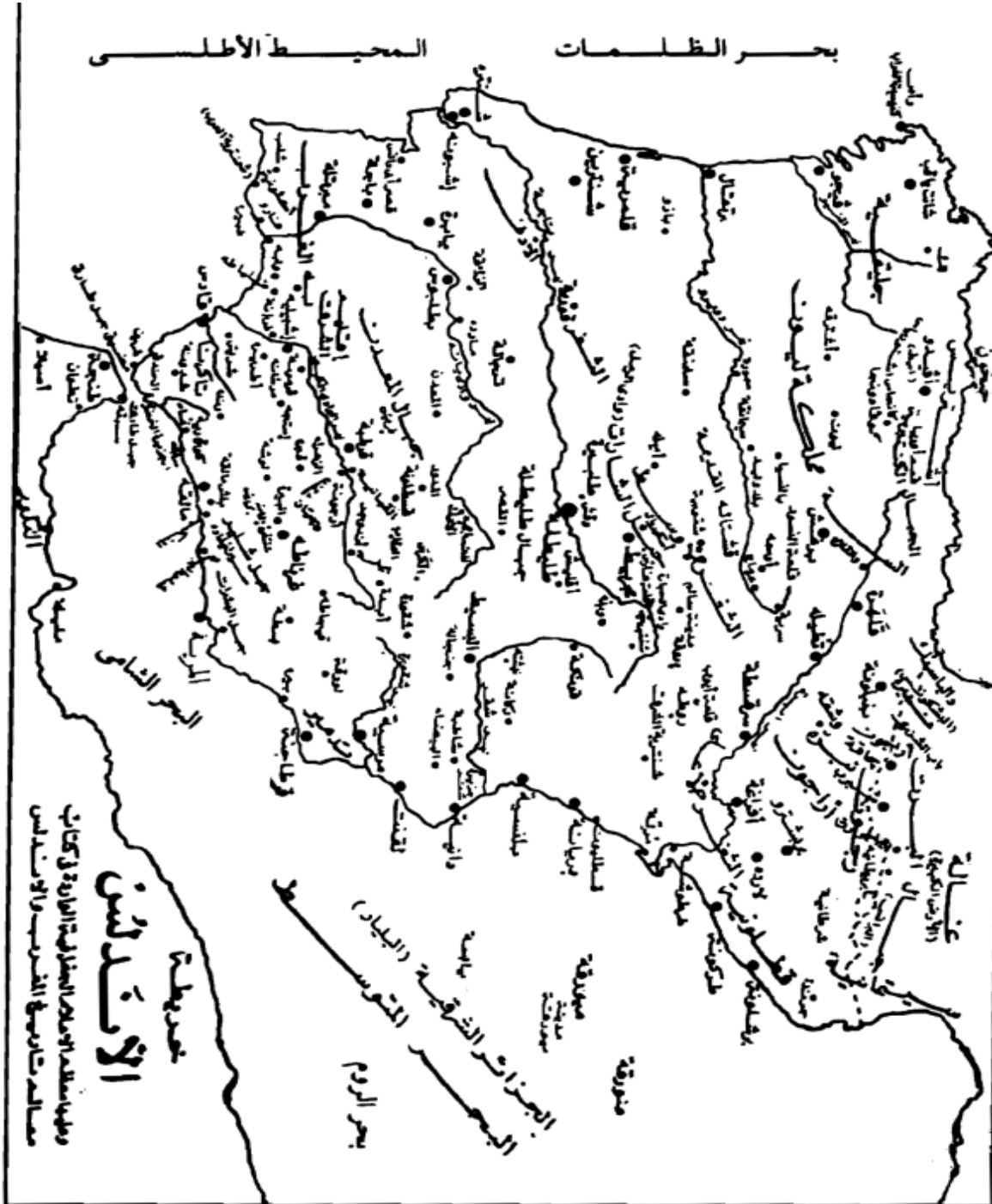
1. إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث باستخدام مناهج ومصادر جديدة لفهم فتح الأندلس بشكل أكثر شمولية.
2. التركيز على دراسة الآثار الطويلة الأمد لفتح الأندلس على المنطقة وعلى أوروبا بشكل عام.
3. البحث في كيفية الاستفادة من الدروس المستفادة من هذا الحدث التاريخي في تعزيز التفاهم والتعاون بين الشعوب والحضارات المختلفة في العصر الحديث.
4. دراسة تأثير فتح الأندلس على العلاقات والتفاعلات بين العالم الإسلامي وأوروبا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية.

5. البحث في كيفية الاستفادة من الإرث الحضاري والثقافي لفترة حكم المسلمين في الأندلس لتعزيز الحوار والتبادل الثقافي المعاصر بين الشرق والغرب.

الملاحق

ملحق رقم 1:

خريطة المدن الاندلسية



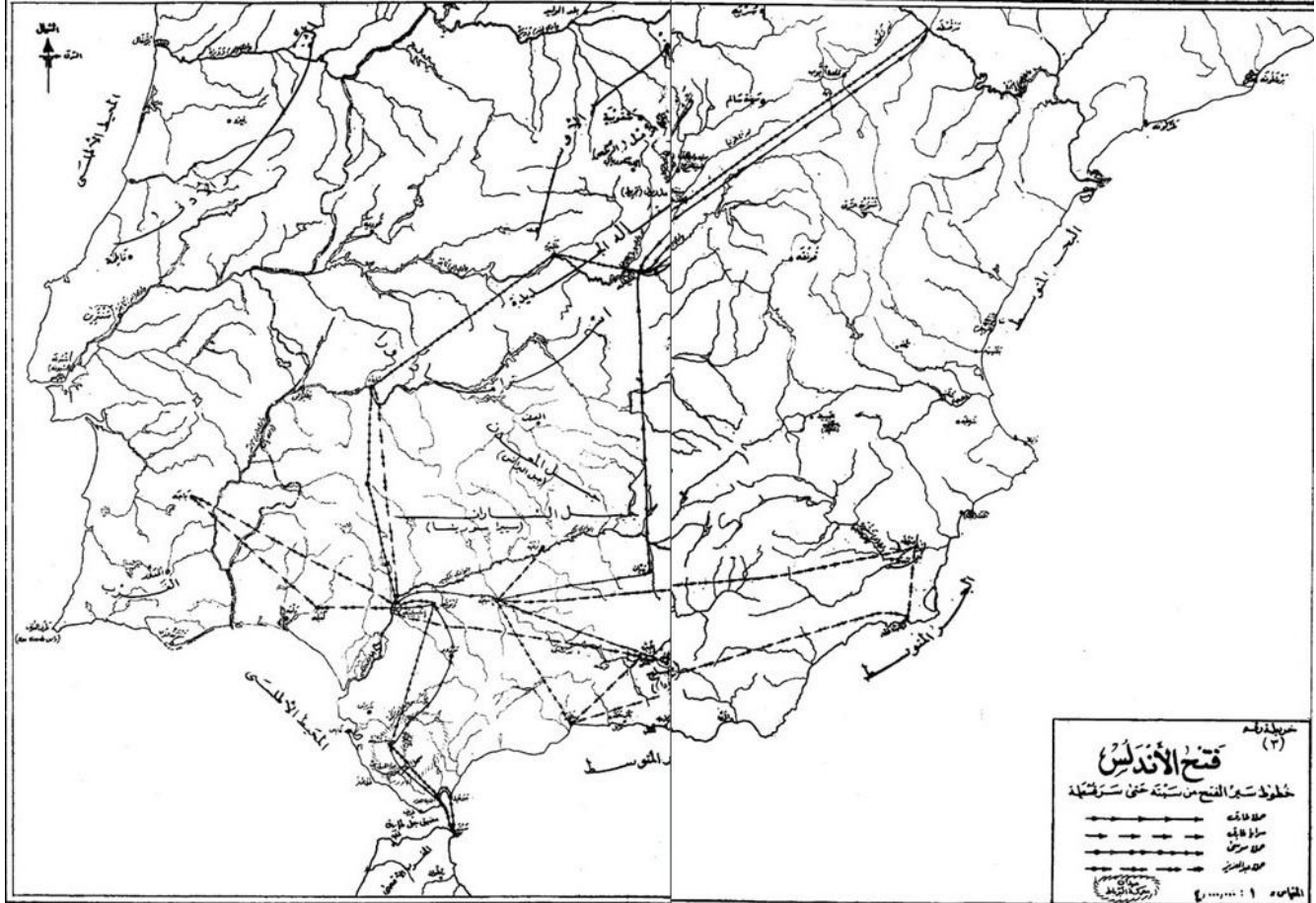
خريطة رقم (٢)

1. حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب والأندلس، ص 509.

الملاحق

ملحق رقم 2:

خريطة تُظهرُ توسع المسلمين نحو الأندلس من بلاد المغرب خلال العهد الأموي



1 عبد الرحمان حجي: المرجع السابق، ص 125.

قائمة المصادر والمراجع

✓ المصادر:

- (1) الإدريسي الشريف: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، جزء 2، (د ط)، القاهرة، 1994.
- (2) .
- (3) ابن الاثير: **عز الدين ابو الحسن بن محمد بن عبد الكريم: الكامل في التاريخ**، اعتنى به ابو صهيب الكرمي، بيت الافكار الدولية، الاردن.
- (4) الأضطخري، **مسالك الممالك** مطبعة بريل، دط، مدينة ليدن المحروسة، 1927 ابن
- (5) البكري أبي عبيد: **جغرافية الأندلس وأروبا**، من كتاب **المسالك والممالك**، تح: عبد الرحمان الحيدار الإرشاد، ط1، بيروت، 1968.
- (6) البغدادي ابن عبد الحق صفى الدين عبد المؤمن: **مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنة والبقاع** وهو مختصر لمعجم البلدان لياقوت الحموي، تح: على محمد البجاوي، ج2، درا الجبل ط1، بيروت، 1992.
- (7) ابن هذيل علي بن عبد الرحمان بن هذيل الغرناطي: **حلية الفرسان وشعار الشجعان**، تح: محمد عبد الغني حسن، دار المعارف، 1951
- (8) الوطواط مباحج الفكر ومناهج العبر، القسم النباتي ج2 تح: ناصر حسين احمد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، د ط، بغداد، 2008.

الملاحق

- (9) ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت399هـ/1008 م)، قدوة الغازي، دراسة: عائشة السليماني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989. 2001م.
- (10) ابن حزم الاندلسي: **جمهرة الانساب العرب**، تح: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م .
- (11) ابن حوقل: **صورة الأرض**، دار صادر، (د ط)، بيروت، 1937 الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، المجلد الأول، بيروت، لبنان، 1977
- (12) الحموي ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، المجلد الأول، بيروت، لبنان، 1977
- (13) الحميري محمد بن عبد الله بن عبد المنعم: **صفة الاندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في اخبار الاقطار**، تع: ليفي برونسسال، دار الجيل، لبنان، ط1977، 2 .
- (14) ابن عبد الحكم، فتوح إفريقيا والاندلس، تح عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1964.
- (15) الكردبوس: **كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء** نشر أحمد مختار العبادي، صحيفة معهد مدريد 1965.
- (16) الكندي، أبو عمر محمد بن يوسف (ت 350هـ/961م)، كتاب الولاة وكتاب القضاة، ته وتص: رفن كست، مطبعة الآباء اليسوعيتين بيروت، 1908.
- (17) المقري أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن خطيب**، دار صادر، المجلد الأول، بيروت، 1988
- (18) مؤلف مجهول: **اخبار مجموعة في فتح الاندلس وذكر امراءها والحروب الواقعة بينهم**، 1967م.

- (19) مؤلف مجهول: تاريخ الاندلس، تح: عبد القادر بوبأيه، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2007م،
- (20) ابن منظور: لسان العرب تح: عبد الله علي الكسر محمد احمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف الجديدة، كرنيش النيل، د.ت.
- (21) السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري، 70/6، دار الكتاب - الدار البيضاء.
- (22) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، تح: بشّار عوّاد معروف ومحمود بشّار عواد (1434هـ - 2013م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثاني (ط. الأولى). ثؤنس العاصمة - ثؤنس: دار الغرب الإسلامي.
- (23) ابو الفداء: تقويم البلدان، دار الطباعة السلطانية، 1885، باريس
- (24) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركلي مصطفى، 147/1، دار إحياء التراث بيروت، 2000م. محمد سليمان 1990
- (25) القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، بيروت، 2007م.
- (26) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م)، الإمامة والسياسة، القاهرة، 1377هـ/1975.
- (27) ابن خلدون عبد الرحمان (ت 908هـ / 1406م): ديوان المبتدأ والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، ج4
- (28)

(29) ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر (1972). وفیات

الأعيان وأبناء أبناء الزمان. دار الكتب العلمية، بيروت

(30) ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي، تح: بشّار عوّاد معروف ومحمود

بشّار عواد (1434هـ - 2013م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، الجزء الثاني

(ط. الأولى). تُؤنس العاصمة - تُؤنس: دار الغرب الإسلامي.

(31) العمري شهاب الدين ابن فضل الله: مسالك الأبصار، ج2، تح: مهدي النجم دار

لكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان، 2010، ج4، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان

(32) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت276هـ/889م)، الإمامة والسياسة،

القاهرة، 1377هـ/1975

(33) القزويني زكريا بن محمد بن محمود: آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت،

بيروت، 2007م.

(34) شيخ الربوة: نخبة الدهر في عجائب البحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، د

ط. 1865

(35) الضبي: بغية الملتبس في رجال اهل الاندلس، تح: ابراهيم الأبيار دار الكتاب

المصري، القاهرة، د س ن.

(36) المراجع:

1. ارسلان شكيب: الحلل السندسية في اخبار والاثار الاندلسية، مؤسسة الهنداوي، د

طمر، 2011.

2. ارسلان شكيب: (عرض وتحليل)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، ج2، ط1960، 2.
3. باقر الحسيني، محمد: النقود العربية الإسلامية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1985.
4. حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، الجزء الأول، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، طبعة 2000م.
5. طرخان إبراهيم علي: دراسات في تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دولة القوط الغربيين مكتبة النهضة المصرية، دط، القاهرة، 1958.
6. أبي الحسن علي الحسيني الندوي مقالات وبحوث حول الاستشراق والمستشرقين دار ابن كثير للطباعة والنشر، دمشق، ط1، 2002.
7. السايح أحمد عبد الرحيم: الاستشراق في ميزان نقد الفكر الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1996.
8. عطية أحمد: القاموس الإسلامي، دار النهضة العربية، د ط، القاهرة، 1979.
9. هيكمل أحمد: الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، مكتبة الشباب، المنيرة، القاهرة.
10. نتج انتوني: العرب انتصاراتهم وأمجاد الإسلام تر راشد البراوي، مكتبة الأنجلو المصرية، ط، 1974.
11. الجندي انور: الشهادة العصر والتاريخ، دار المنارة، الطبعة الأولى - جدة، 1993م
12. فؤاد سيزكين: تاريخ التراث العربي، (الأجزاء 1، 2، 8)، ترجمة محمود فهمي حجازي، عرفة مصطفى، 11 مجلد، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1983 - 1991م.
13. ج س كولان: الأندلس تر: إبراهيم خورشيد وعبد الحميد يونس وحسن عثمان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
14. ريسلر جاك: الحضارة العربية تع: خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت باريس، ط1، 1993.

15. جرجي زيدان: فتح الأندلس، تق: محمود علي مكي مؤسسة دار الهلال، ط1، 1984.
16. كاستلان جورج: تاريخ الجيوش، تر: كمال دسوقي، تعليق عبد الرزاق زكي، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1956)، ص52؛ وينظر: جهادية، العقلية العربية.
17. مؤنس حسين: فجر الأندلس (دراسة تاريخية في الأندلس من الفتح إلى قيام الدولة الأموية 711-756م)، دار الرشاد، ط1، 1956.
- م.
18. الصلابي محمد علي: صفحات مشرقة من التاريخ الإسلامي، المجلد الأول، دار الفجر للتراث، القاهرة الطبعة سنة 2005م.
19. درزي رينهرت: المسلمون في الأندلس، المسيحيون والمولدون، ج1، تر وتح: حسن حبشي الهيئة المصرية للكتاب، ط1، 1998.
20. السرجاني راغب: قصة الأندلس من الفتح إلى السقوط مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ط1، القاهرة، 2011.
21. دنون عبد الواحد: موسى بن نصير، دار الشؤون الثقافية العامة (بغداد، 1989).
22. الحاج سالم سامي: نقد الخطاب الاستشراقي، الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ج1، 2002.
23. عبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، دار المعارف بالقاهرة - 1965م.
24. عاشور سعيد عبد الفتاح: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى مرجع سابق، ص71.
25. حمود سوزي: الأندلس في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009.
26. المنجد صلاح الدين: المستشرقون الألمان، تراجمهم وما أسهموا في الدراسات العربية، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ج1، ط1، 1978.
27. سري طارق: المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي مكتبة النافذة الجيزة، ط1، 2006.

28. طقّوش، مُحمّد سُهيل: 4 تاريخ المسلمين في الأندلس: 91 - 897 هـ \ 710 - 1492 (ط. الثالثة). بيروت - لبنان: دار النفائس، 2010 م.
- 29.
30. الجراي عباس: الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرباط/ الطبعة الثانية مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1982.
31. الحجي عبد الرحمان على: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة، دار القلم، دمشق-بيروت، 1981.
32. خربوش عبد الرؤوف: دور المستشرقين الفرنسيين في نقل الثقافة العربية إلى الغرب، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين.
33. سالم عبد العزيز: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، دار المعارف، دط، لبنان، 2015.
34. عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي، تاريخ البحرية الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. ط، 1969.
35. سالم عبد العزيز: المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1981، ج2.
36. الديب عبد العظيم: المستشرقون والتراث، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع المنصورة، ط2، 1992.
37. عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس 59، وحسين مؤنس، فجر الأندلس.
38. عنان عبد الله: دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الأول، الطبعة الثالثة.
39. كنون عبد الله: النبوغ المغربي في الأدب العربي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، 1960.
40. النبوغ المغربي في الأدب العربي، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، 1960.
41. عبد المنعم حمدي: المغرب والأندلس، دار المعرفة الجامعية د ط، مصر، 1999.

42. عبيد الله بن صالح (ت. ق 8هـ/14م)، (نص جديد عن فتح العرب للمغرب)،
تح: ليفي بروفنسال، ترجمة: حسين مؤنس، صحيفة العهد المصري للدراسات الإسلامية
في مدريد، (المجلد الثاني - 1954)، العدد 1-2، مدريد.
43. ابو المصطفى كمال السيد: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين
والموحدين، الإسكندرية، (د ط)، (د ت).
44. كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: منير البعلبكي ونبية أمين فارس،
دار العلم للملايين، ط5، 1968.
45. لوبون جوستاف: حضارة العرب، تر: عادل زعيتر، دار إحياء الكتب العربية، ط3،
القاهرة، مصر، 1956.
46. بن معمر محمد: منهج ليفي بروفنسال الاستشرافي في تحقيق تراث الغرب
الإسلامي.
47. العبودي محمد بن ناصر: رحلة الأندلس، نادي المدينة المنورة الأدبي، ط1، المملكة
العربية السعودية المدينة، 2014.
48. حقي محمد: البربر في الأندلس، شركة النشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط 1،
2001
49. عنان محمد عبد الله: الآثار الأندلسية الباقية في اسبانيا والبرتغال (دراسة تاريخية
أثرية)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ط2، القاهرة 1961.
50. محمد كورد علي: غابر الأندلس وحاضرها، المطبعة الرحمانية، ط1، مصر، 1923
51. محمود شيب خطاب: قادة فتح الأندلس، المجلد 1، منار للنشر والتوزيع، ط1،
دمشق، 2003،
52. موننجومري وات في تاريخ إسبانيا الإسلامية، تر: محمد رضا المصري، شركة
المطبوعات للتوزيع، نباجة الوهاد، ط1، 1998.
53. مؤنس، حسين (1429هـ - 2008م). فجر الأندلس: دراسة في تاريخ الأندلس
من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية 711-756م (ط. الرابعة). القاهرة -
مصر: دار الرشاد.

54. مين الريحاني: نور الأندلس مكتبة لسان العرب، د، ط، القاهرة، مصر، 2012، ص12.

55. وديع أبو زيدون: تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة في قرطبة، مراجعة: هاني الجمل، ط 4، د، م، د، ت.

56. ول ديو رانت، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محمود، 378/13، دار الجيل – بيروت، 1988م.

57. زينب نجيب: الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، دار الأمير، ج2.

المذكرات والرسائل الجامعية:

1. بيداء محمود حسن حميد القيسي: الزراعة والري في عصر الإمارة والخلافة بالأندلس، مذكرة ماجستير في تاريخ الفنون الإسلامية مخطوطة، جامعة بغداد، العراق، 2005.

2. حساني فايزة محمد: تاريخ مدينة سرقسطة، مذكرة ماجستير مخطوطة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، السعودية 1430هـ.

3. ولد علي حنان وشتوان تركية: الفتوحات الإسلامية في ما وراء جبال البرنية في الأندلس في عصر الولاة (95هـ/138هـ/714م/757م)، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ا ش: د/كوريب عبد الرحمان، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020م/2021م.

4. بنجتي هجيرة، بلخياطي خيرة، جبار صليحة: الفتوحات فيما وراء جبال البرتات في الأندلس، مذكرة ماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، ا ش: د/بوخاري عمر، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2019\2020م

✓ مجالات:

الحمد توفيق علي: نحن المستشرقون مع دراسة تحليلية لأثر المستشرق الهولندي دوزي في الجمعة العربية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، ع15 ط1، 2001م.

✓ راجع باللغة الأجنبية:

2. Levi provençal Histoire de l'Espagne. Misulmane. Leiden.paris. 1950.T1.P2.
3. R. Browning, The Emperor Julian (London, 1975), pp. 74–75. However, Shaun Tougher, "The Advocacy of an Empress: Julian and Eusebia" (The Classical Quarterly, New Series, Vol. 48, No. 2 (1998), pp. 595–599), argues that the kind Eusebia of Julian's panegyric is a literary creation and that she was doing the bidding of her husband in bringing Julian around to doing what Constantius had asked of him. See especially p. 597
4. Roger Collins (1989), The Arab Conquest of Spain, 710–97 (London: Blackwell Publishing), 26–27.
5. S. Katz: The Jews in the Visigoth and Frankish Kingdoms of Spain and Gaul, New York, 1970, pp, 3, 5

الملخص

الملخص:

تناولت هذه الدراسة موضوع "فتح الأندلس: أسبابه ومراحل"، وهو حدث تاريخي بالغ الأهمية كان له انعكاسات عميقة على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية والثقافية والحضارية في شبه الجزيرة الإيبيرية وأوروبا بشكل عام

استعرضت الدراسة بداية الأسباب والدوافع المتعددة التي دفعت المسلمين إلى فتح الأندلس، بما في ذلك العوامل السياسية والاقتصادية والدينية والعسكرية. ثم تناولت بالتفصيل مراحل الفتح، بدءًا من عمليات الاستطلاع والاستكشاف، ومرورًا بالحملات العسكرية لقادة بارزين أمثال طارق بن زياد وموسى بن نصير، وصولاً إلى فتح شبه الجزيرة الأيبيرية بأكملها

كما سلطت الدراسة الضوء على دور القادة والجنود المسلمين البارزين، الذين ساهموا بشكل كبير في إنجاح عملية الفتح من خلال شجاعتهم وحنكتهم العسكرية وإرادتهم القوية في مواجهة التحديات والصعوبات.

وقد كان لفتح الأندلس آثار واسعة النطاق على مختلف الأصعدة. فعلى الصعيد السياسي، أدى إلى توسيع رقعة الدولة الإسلامية وإضافة منطقة استراتيجية هامة. كما شهدت المنطقة ازدهارًا اقتصاديًا كبيرًا، حيث أصبحت مركزًا تجاريًا رئيسيًا. ومن الناحية الثقافية والحضارية، عزز الفتح التبادل والتفاعل الحضاري بين الشرق والغرب، ونشر الثقافة والحضارة الإسلامية في أوروبا.

استخلصت الدراسة العديد من الدروس والعبر المستفادة، مثل أهمية دراسة التاريخ والاستفادة من دروسه، وقوة الإرادة والتخطيط الجيد، وأهمية التنوع الثقافي والانفتاح على الآخر. كما حددت آفاق البحث المستقبلية في هذا المجال، بما في ذلك إجراء المزيد من الدراسات باستخدام مناهج ومصادر جديدة، والتركيز على دراسة الآثار طويلة الأمد للفتح، والبحث في كيفية الاستفادة من الإرث الحضاري والثقافي لهذه الفترة لتعزيز الحوار والتبادل المعاصر بين الشرق والغرب.

في الختام، يمكن اعتبار دراسة موضوع "فتح الأندلس: أسبابه ومراحل" خطوة هامة نحو فهم أعمق لهذا الحدث التاريخي البارز وتأثيراته المتعددة الأبعاد، كما تمثل أساسًا صلبًا للمزيد من الدراسات والأبحاث في هذا المجال الحيوي.

Abstract:

This study analyzed the topic of "The Conquest of Al-Andalus: Causes and Stages", a pivotal historical event that had profound repercussions across political, economic, cultural, and civilizational spheres in the Iberian Peninsula and Europe as a whole.

The study began by examining the multitude of causes and motives that drove the Muslims to conquer Al-Andalus, including political, economic, religious, and military factors. It then delved into the stages of the conquest in detail, starting with the reconnaissance and exploration missions, followed by the military campaigns led by prominent figures such as Tariq ibn Ziyad and Musa bin Nusair, culminating in the conquest of the entire Iberian Peninsula.

The role of distinguished Muslim leaders and soldiers was also highlighted, as their bravery, military acumen, and unwavering determination were instrumental in overcoming challenges and achieving the successful conquest.

The conquest had far-reaching effects across various domains. Politically, it expanded the territories of the Islamic state and added a strategically significant region. Economically, the region witnessed substantial prosperity, becoming a major trade hub. Culturally and civilizational ally, the conquest fostered cross-cultural exchange and interaction between the East and the West, while spreading Islamic culture and civilization in Europe.

The study derived several key lessons and insights, such as the importance of studying history and learning from its lessons, the power of determination and proper planning, the value of cultural diversity and openness to others. It also identified future research avenues in this field, including conducting further studies using new methodologies and sources, focusing on the long-term effects of the conquest, and exploring how to leverage the cultural and civilizational legacy of this period to enhance contemporary dialogue and exchange between the East and the West.

In conclusion, the study of "The Conquest of Al-Andalus: Causes and Stages" represents a crucial step towards a deeper understanding of this seminal historical event and its multidimensional impacts, while providing a solid foundation for further research in this vital area

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

الإهداء

مقدمة 02

الفصل الأول: لمحة جغرافية وسياسية لإسبانيا قبيل الفتح الاسلامي

المبحث الأول: جغرافية الأندلس 08

المبحث الثاني: نظام الحكم في الأندلس قبل الفتح الإسلامي 20

الفصل الثاني: أسباب الفتح الإسلامي للأندلس

المبحث الأول: قراءة حول أسباب فتح الاندلس 26

المبحث الثاني: دراسات حول روايات لفتح الأندلس 35

الفصل الثالث: مراحل الفتح الإسلامي

المبحث الأول: اتصال يوليان بالقادة 42

المبحث الثاني: الحملة الاستطلاعية (حملة طريف بن مالك) 51

الفصل الرابع: المراحل الرسمية للفتح الإسلامي للأندلس

المبحث الأول: حملة طارق بن زياد 58

المبحث الثاني: حملة موسى بن نصير 79

الخاتمة 95

الملاحق 99

قائمة المصادر والمراجع 109

فهرس المحتويات: 116

